في سبيل رؤية جادة للمجتمع الموريتاني

بقلم : احمد بن سيدي

ـ توضيح منهجي :

جرت العادة أن يبحث كل موضوع عن أصوله في الماضي لان ذلك أصبح من مقدمات العمل ؛ وهذه الاولوية في المناهج الفكرية هدفها أن تضع أمام القارىء مختلف التشنجات والالتواءات ٠ ورغم اعتقادنا أن هذا النوع من البحث أصبح مبتذلا، الا أننا لا نرى مانعا من السير في اتجاهه لانه يمكننا من استشفاف ملامح المسار التطوري ، والوقوف على كل الملابسات الاجتماعية والسياسية ٠

وهكذا فاني عندما عدت في بحثي هذا الى ما قبل سنة 800 ه أي قبل دخول قبائل مغفر ، اعتقادا مني أن هيكل موريتانيا كوحدة سياسية واجتماعية سابقة على هذا التاريخ ، وجدت من الصعب بل ربما من المستحيل القول بأمة موريتانية حسب المفهوم الحديث كما تم تعريفه في الغرب ٠

كما لاحظت ـ خلال البحث ـ أن المجتمع الموريتاني لم يشهد سكونا ذلك أنه كان يتحرك تحت الضغوط والحروب الداخلية بأشكال مختلفة ومتتابعة ، ومن أبرز مظاهر ذلك تقسيم البلاد الى كتل اصطدمت من حين لآخر مع بعضها البعض،فالقبيلة كانت هيالوحدة الاساسية التي ينبني عليها الهيكلالسياسي والاجتماعي فكل كتلة قبلية قائمة بذاتها وأفرادها متماسكون :

« لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا (I)

فأفراد القبيلة أشبه ما يكون بالعناصر المتشابكة في الوحدة العضوية الحية ،

(I) حماسة أبي تمام المكتبه الازهرية الطبعة الثالثة

لان المجتمع ما هو الا أسر كثيرا ما تكون من أصل واحد فيه التجار والصناع وأهل العلم والقادة العسكريون والسياسيون

ان الحياة الاجتماعية التى كانت تنعكس عليها هده الصورة ، صورة المجتمع الموريتانى تحمل معالم مؤشرات يمكن اجمالها فى ما يلى :

أولا : اذا رجعنا الى البيئة الموريتانية وجدنا أوضح ما تمتاز به ظاهرتـى الحرارة والصحراء فمناخ موريتانيا حار شديد الحرارة والمناخ عـادة أشـد سطوة وأكثر تغلبا من أى شىء سواء على البشر والصحراء تفرش معظم البلاد مما ترك أثارا على الحياة بصورة قوية ، فالاساس العام يرتكـز على الـزراعة والماشية مع تفاوت واسع حسب المناطق ، والحراثة تقوم على الامطار ومن ثم فان الارض أرض بعلية أى غير مروية وبالتالى فان نظامها لا سببيى .

فأى شىء يمكن أن تفسره لنا هذه الظاهرة ؟

يمكن أن نجيب فنقول : انها تفسر لنا ظاهرة الثبات والبساطة ، ومن هنا فان المجتمع الموريتانى كان شديد الثبات على التقاليد محبا لها ثابتا عليها .

ثانيا ـ ظهرت عوامل فى المجتمع الموريتانى عرقلت الكثير من تطوره منهـا الحوائل الطبيعية بينه والمجتمعات الاخرى من بحار ، وصحارى ، ومسافـات شاسعة ، وكذلك البعد الكبير بين موريتانيا والعالم الاوربى ، من حيث الحالة الاجتماعية والدرجة العقلية ، والاقتباس غالبا ما يكون اذا تقاربت العقليات .

فقد شكلت الصحراء بعدا جغرافيا خطيرا ، عزل هذه البلاد عن بقية الوطن العربى سنين دأبا مما كان له الاثر البالغ فى تطور هذا المجتمع فقد قيل أن القاموس المحيط اشترى بعشرين بعيرا ، وذلك فى القرن 12 هـ ، وان ديوان المتنبى اشترى بعيد شباب (2) .

ثالثا ـ اعتماد الموريتانيين ـ بدون استثناء ـ على المذهب المالكى، وهو مذهب يعتمد غالبا على الفروع وآراء الفقهاء أكثر من الاصول (القرآن والحديث) مما جعله يمنع كل اجتهاد وكل تأويل ، وكان من نتائج ذلك ظهـور التفسـيـر الظاهرى للقرآن

---

(2) انظر كتاب المآثر لمحمد عبد الله بن البخارى بن الفلالى (مخطوط)

كما اعتمدوا العقيدة الاشعرية ورفضوا ما سواها ، كما كانت ميولهم السياسية شيعية زيدية

ولعل السبب فى ذلك هو ما يعتقدون من نسب هاشمى ، كل ذلك يجعل رباطهم الاديولوجى الدينى واحد (3)

رابعا ـ من سنة 1936 ـ أى انتهاء المقاومة فى موريتانيا حتى سنة 1960 لم يحدث فى البلاد أقل تغيير سياسى أو اجتماعى،ولم تحاول الادارة الاستعمارية المحلية ولو اعطاء الصفة الانسانية للمجتمع الموريتانى وتخويل الموريتانيين بعض الحقوق واعطاءهم حق التسيير الذاتى ، وغاية ما هنالك أن الادارة الفرنسية كرست جهودها فى مواصلة « التهدئة » ، فلم تعرف موريتانيا والحالة هذه ـ خلال هذه الفترة ـ ما يمكن أن يسمى « التنشئة الاستعمارية » التى كثيرا ما تتولد فى أحضانها تنشئة وطنية ٠

وهكذا فلم تكد تعرف الاستعمار ، ولم تكد تتعرض لعواقبه السلبية كما لم تستفد من مكاسبه ومزاياه الايجابية (4) ٠

خامسا ـ ظاهرة الاقتصاد الطبيعى فقد ساد نظام « المقايضة » من وادنون على التخوم المغربية حتى بلاد السنغال ، فهذه البلاد لم تعرف سكة نقدية وانما عروضا ، ورغم ظاهرة « الودع » كعملة نقدية (5) بتأثير من السكان السود المجاورين رغم رواج الملح فى التبادل التجارى (6) ٠

فان نظام المقايضة والاقتصاد الطبيعى كان له تأثيره،البالغ في تحديد علاقات الانتاج وانعدام ملكية تجارية وبالتالى طبقة تضغط اقتصاديا ٠

---

(3) لمزيد من التعمق أحيل القارىء على بحث للدكتور عباس الجرارى بعنوان « وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ » ط 1 ـ سنة 1976 الدار البيضاء

(4) انظر مجموعة خطب الاستاذ المختار بن داداه الصادرة 1962 ٠

(5) وهناك أبيات شائعة لم أجد من ينسبها الى أحد ، وهى :

ان الرواة بلا فهم لما حفظوا ... مثل الجمال عليها يحمل الودع
لا الودع ينفعه حمل الجمال له ... ولا الجمال لحمل الودع تنتفع

وكان الفلانيون يسمون الودع (كورى) وهى لفظة استعملها الموريتانيون كعلم للفلانيين أنفسهم ٠

(6) انظر الوسيط ص 521 ط 2

يقول الشيخ محمد المامي : وما بين آكمين (ناحية من مدينة سنلويس السنغالية) « ووادنون » لا سكة فيه بل عروض تغلب في هذا البلد وغيرها يغلب في بلد آخر كابن المخاض (7) ·

الارض والسكان

في ذلك الطرف الاقصى وعلى ضفاف المحيط ووسط رمال تلك الصحراء المترامية الاطراف قام مجتمع متمسك بالاسلام دينا ، وبالعربية لغة ، مجتمع «أهمل» ردحا من الزمن ·

في هذه الارض « المنسية » يكون البحث عن هوية لهذا المجتمع امرا ضروريا يفرض نفسه على المثقفين من أبناء الوطن ، ويكون القيام بتحليل موضوعي ودقيق للحالة الاجتماعية والسياسية ، والقاء الضوء على الاسس الداخلية أمرا ضروريا ·

وعن هوية هذه البلاد وحدودها السياسية ، لا نجد في المصادر القديمة تسمية مضبوطة او حدودا مرسومة قارة ·

فسيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم يرسم حدودها من الساقية الحمراء الى السوادنين الى أروان (1) ـ أقصى نقطة في الشمال الشرقي من جمهورية مالي الحالية ـ · واحمد بن الامين الشنقيطي يراها من قاع ابن هيبة (كيهيدي الحالية) الى ما وراء «ولاتة» «والنعمة» شرقا ، ثم بلاد السنغال غربا (2) · أما الشيخ محمد المامي ، فيرسمها من نهر شمامة ، ازاء السنغال الى الحمادة جنوبا من سجلماسة ، والى الساقية الحمراء ، وهي حد بلاد السوس (3) ·

ولم تكن التسميات أقل اضطرابا من الحدود ، فقد أطلق سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم على البلاد « الارض السائبة » وبلاد « المغافرة

---

(7) انظر كتاب البادية للشيخ محمد المامي ـ مخطوط

(1) أنظر صحيحة النقل في علوية ايد وعلي وبكرية محمد غلي لسيد عبد الله ابن الحاج ابراهيم ·

(2) انظر الوسيط في أدباء شنقيط ص : 422 ط 2 ـ القاهرة 1958

(3) انظر الجأش الربيظ في الكلام على شنجيط للشيخ محمد المامي ، وانظر أيضا منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله فتح الشكور للطالب ببكر الولاتي (مخطوطان)

« وشنقيط » (4) • وأطلق الشيخ محمد المامي « البلاد السائبة » « وبرك الغماد » وأطلق على الاقليم الغربي « القطر الشنظوري » (5) •

وعرفها محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي البرتلي ب : « بلاد التكرور » (6) ويرى الاديب والمؤرخ المعاصر المختار بن حامدون أن هذه البلاد كانت تعرف باسم « صحراء الملثمين » (7) •

وهذا الاضطراب فى وجود تعريف قار متأت عن انعدام وحدة سياسية شاملة اذ ذاك ، ونظام مركزى قار •

ورغم ذلك فان هناك حدودا اجتماعية وثقافية قوية تربط البلاد ربطا قويا مثل اللغة والدين والمناخ ، والقواعد الذهنية المتبطنة فى سلوك الافراد ، وفى أحلام الرجال ، ورسوم لاطفال ، وحكايات الامهات ، ودروس التربية الاخلاقية

وعلى كل فان هذه البلاد أديرت وعمرت من قبل جنس « البيضان » مما جعل الفرنسيين يطلقون على القطر : « أرض البيضان » •

وقد دخل الاسلام فى تاريخ مبكر من ظهوره وبالضبط فى القرن الثانى الهجرى ، وتم توطيده فى القرن السادس الهجرى ، على يد عبد الله بن ياسين

تحرك معقل ودواعيه

وكان دخول قبائل « المعقل » فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين (8) بالنسبة للتاريخ الموريتانى فترة حاسمة ، فقد برزت بوضوح شخصية موريتانيا الحديثة ، وتشكل تاريخ البلاد بشكل قوى ، فقد سيطروا على البلاد ثقافيا وسياسيا ، ونشروا لغتهم العربية ، وأسسوا امارات عديدة متفاوتة الحجم والنفوذ وحظوظ النجاح •

وتعود تحركات هذه الكتل البشرية فى القرنين المذكورين ومغادرتهم بلاد السوس ــ فى الجنوب الغربى ــ الى سببين اثنين :

---

(4) أنظر الاجوبة الصحيحة ص : 279 والنزهة ص 40 لسيدى عبد الله
(5) انظر كتاب البادية ومقدمة شرح الميزانية للشيخ محمد المامى (مخطوط)
(6) انظر كتاب فتح الشكور لمحمد بن أبي بكر الصديق البرتلي • (مخطوط)
(7) استعرض الاستاذ محمد أحمد مسكة هذا الموضوع باسهاب فى رسالته للدكتوراه •
(8) هذه المعلومات يؤكدها المختار بن حامدون الاديب والمؤرخ الموريتانى •

1 ــ سبب سياسي يعود الى الضغط الذى مارسه السلطان المرينى يوسف بن يعقوب لما كان يخشاه على مملكته من تهديد ، وذلك لكى تغير هذه القبائل الارض ، فتتوجه الى ارض أخرى حتى تكون بغيدة عن رعيته القروية.

2 ــ سبب اقتصادى وهو البحث عن تغذية الافواه البشرية المتزايدة ، فقد كان الهجوم على المناطق الخصبة والتحكم فى محاور ومفترق الطرق التجارية هو المنفذ الوحيد لسد حاجيات الناس ماديا .

توجهت ــ اذن ــ هذه الكتل البشرية تحت ضغط هذين العاملين نحو الصحراء المتاخمة للمحيط ونحو المدن المهمة ذات الشأن ، المتحكمة فى الطرق التجارية .

ونظرا الى صعوبة المواصلات وانعدام الانهار والاودية المتواصلة فان البلاد لم تعرف عاصمة قارة نهائيا ، ولم يتح لها البتة ان تحقق وحدتها حول عاصمة ما .

فلم تكن اذن المدينة بالمقوم الاساسى للوحدة وانما المقوم هو القبيلة منفردة أو متحدة مع جاراتها ، وبانعدام الامة أصبحت القبيلة أمة صغيرة تأخذ جميع صلاحياتها ، وأصبح رئيس القبيلة بمثابة الخليفة أو الملك .

فالوضع الصحراوى ــ اذن ــ وتركيب المجتمع اذ ذاك كانا مسؤولين عن ظهور ما يمكن أن نطلق عليه « القبائل الدول » كما حدث فى المغرب اثر دخول قبائل بنى هلال وبنى سليم حيث تأسست في كل مدينة ــ تقريبا ــ دولة (9) .

فكان يبرز من حين لآخر زعيم جرىء يؤسس امارة او رئاسة ، ويتولى مسؤوليات مختلفة ، سياسية واجتماعية وعسكرية ، وتبقى زعامته مرهونة بالتفوق والجاه والسلطان والقهر تتوارث بعده طالما كان الابن أو الاخ (ولى العهد) حائزا لمثل تلك الصفات ، وكلما طال التوارث كلما أصبح الرئيس فى مركز من الجاه والشرف ، وقد تنهار امارته تحت ضربات منافسيه من بنى عمومته أو من قبائل أخرى . ان دخول قبائل المعقل ــ على هذا النحو ــ واستقرارهم غير كثيرا من مجرى الاحداث ، فقد كانت هذه المجموعات البشرية تشكل مجتمعات بدوية مختلفة تجوب الارض ، وكان على

---

(9) انظر تاريخ المغرب للاستاذ عبد الله العروى :
Histoire du Maghreb : ed. François Maspero- - Paris 1970

رأس كل كتلة قبلية رئيس متنقل أيضا ضمنها ، فى رحلته « ومحضره » ، اذ لم يكن له مكان قار أو بالاحرى عاصمة الا نادرا ، فهو مثل غيره يتنقل وينتجع داخل حدوده الترابية ،اذ كان لكل قبيلة حدود لا تتجاوزها الا نادرا ، وهذه الحدود مشاعة بين أفرادها فلكل الحق فى زراعتها وانتجاعها وحفرها وعليه الدفاع عنها ٠

وأصبح التكتل القبلى هو النموذج السياسى والاجتماعى لكل عناصر المجتمع الموريتانى فالى جانب « القبائل الدول » فى مجتمع البيض هناك العناصر السوداء وكانت لها قبائلها وامارتها المستقلة من التكارير وسرقله ، والولف التى كانت مجاورة للنهر ــ نهر السنغال ــ

وقد قاموا بدور حاسم فى نشر الاسلام ، ونشر اللغة العربية ، بالرغم من أن لهم لهجاتهم الخاصة وهى بعيدة كل البعد عن اللغة العربية ، التى أصبح لها لديهم حظ كبير فهى لغة العلم والدين ، ولغة الكتابة ٠ والاتصالات السياسية ٠

ومن أشهر هذه الامارات « امارات آلمان » التكرورية التى شاركت كغيرها بنصيب وافر فى نشر الاسلام والجهاد مع المرابطين ، واكتسبت بذلك شهرة وصيتا وتقديرا ، فالشيخ محمد المامى العالم والمتصوف الشهير يقول عن نفسه انه « سمى بوصيابا المامى » (١٥) كما حاربت هذه الامارات السود ، الى جانب ناصر الدين ، وانضموا الى حركته « السلفية » ثم كانت لهم مواقف مشرفة ضد النفوذ الاجنبى ومحاربة الاستعمار ٠

دخول الاستعمار

ــ عرف المجتمع الموريتانى منذ مطلع هذا القرن صراعا ضد الهيمنة الاجنبية وصراعا بين الفئات الموالية للاجنبى والفئات المناوئة له فى الداخل ، وترك هذا الصراع تقاليد سياسية وفكرية راسخة ، من أهمها المنهج المستعمل فى تبرير ذلك الموقف ٠

لقد كان النظام السائد فى أوائل هذا القرن قبل التغلغل الفرنسى نظام مشائخ ، وأهم ظاهرة فيه أنه اتسم بالعداء الشديد لكل تدخل أجنبى وخاصة اذا كان غازيا « كافرا » ٠

(١٥) بوصيابا هى الارض التى كانت تحت حكم المامى التكرورى ٠

وكانت كراهية الرجل الموريتاني لهؤلاء الاجانب شديدة ، وهى كراهيــة جاءت لتمكن الاسلام من نفسه ·

وبالرغم من ذلك فقد وجد من بين الموريتانيين من لعب دورا بارزا ونشيطا فى مساعدة الفرنسيين خلال حملاتهم الاستطلاعية فى أواخر القرن الماضى ومطلع هذا القرن

واذا علمنا ان الفرنسيين مكثوا **ستة وثلاثين سنة تقريبا** ، أى من مطلــع القرن الى سنة 1936 فى احتلال موريتانيا ، علمنا ا نالمقاومة كانت شديدة وأن الكراهية كانت مستحكمة ·

ولتكوين فكرة عن ظاهرة الصراع بين الفئات المناوئة للاستعمار الفرنسى والفئات المناصرة له أحيل القارىء الى مجموعة من الرسائل الواردة فى كتاب اسماعيل همات بعنوان يوميات موريتانيا السنغالية (1)

وأيا ما كانت الامور، وبغض النظر عن الاندماج المظهرى والعدوى السياسية فان النفور والكراهية ـ فى مجتمع « القبائل الدول » للفرنسيين كانا شديدين خلال فترة الاحتلال ـ فبالرغم من المغريات المادية والحيل التنظيميــة (2) فقــد بقى المجتمع الموريتانى خــارج الــدائرتين الثقــافية والاجتمــاعية للاستعمــار الفرنسى ـ خلافا لبقية المستعمرات ·

فبقدر ما كان سائر دول افريقيا الغربية مستعدة منهمكة ، بكل جشع فى الحضارة والثقافة الفرنسيتين كمكسب يجزى لثقافتهم ، كانت المقاومة والرفض لاتساع النفوذ التعليمى والاجتماعى الفرنسى من قبل الموريتانيين ، فعمليــة التماثل والتبنين السياسى والاجتماعى مع الدولة الكولونيالية كان منزعا من منازع المستعمرات السوداء فى غرب القارة ، أما موريتانيا فقد بقيت محافظة على شخصيتها وثقافتها وتنظيمها السياسى والاجتماعى ·

فما هو السبب فى ذلك يا ترى ؟

يرجع الكثير من المهتمين ذلك الى العــامل الــدينى ، فالمجتمــع الموريتــانى الذى اعتنق « الاسلام » منذ عدة قرون لم يكن يولى أى اهتمام وبالاحرى أى

---

(1) Chronique de la Mauritanie Sénégalaise Ed. 1971

(2) انظر تقرير الوالى الفرنسى كريستان لڤرى الذى حكم موريتانيا من 1944 الى 1946 الصادر فى : 24 / 1 / 1945 ·

اعجاب لما جاء به الفرنسيون من ثقافة ومن تنظيم سياسى واجتماعى (3) خلافا لبقية الدول الافريقية السوداء ·

الا ان السؤال الثانى الذى ينبغى طرحه للتقدم أكثر هو :

هل كان هناك شمول وتدبير متعمد منذ البداية فى فلسفة الرفض هذه رفض الثقافة والحضارة الفرنسيتين ؟

ان الجواب على هذا السؤال يقتضى نظرة خلفية فى بعض المعطيات والملابسات الاجتماعية ، التى شكلت بصورة أو بأخرى ، سير الاحداث من المسلمات العامة أن جل قبائل الزوايا ـ الرئيسية ـ والقبائل السوداء تساكنت وتحاربت وتعايشت فى مشادات ومعاكسات ـ فترة قديمة تعود الى ما قبل الاسلام وبالتالى قبل دخول العرب الفاتحين ·

وكانت لهذه القبائل نظمها السياسية،ولهجاتها المحلية المتشعبة من بربرية (لهجة أزير ـ وآزناق) وبولارية وسرقلاوية ··

وعندما جاء المغافرة الى البلاد دخلوا مع هذه الكتل والتحموا معها فى صراعات حاسمة ، كان النصر لفائدتهم ، وذلك بقوة السلاح وكانت لذلك ردوده الفعلية التى شكلت على هذا النحو أو ذاك الايقاع التاريخى فيما بعد ، منها على سبيل المثال :

ـ انتصار اللغة العربية وانتشارها على نطاق واسع

ـ تأسيس تحالفات شفوية أو ضمنية فى سبيل التعايش والتداخل بين المنتصر والمهزوم ·

ـ حدوث تبرمات وصراعات نفسية فى نفوس الكتل المغلوبة ، وصلت فى اوضح صورها فى محاولة ناصر الدين الجادة ـ أولا ـ ثم فى تأييد أو رفض التدخل الفرنسى ـ ثانيا ـ مما هو موجود تحت أقلام الكثيرين من «فحول» الفقهاء ورجال الدين ·

---

(3) المرجع السابق ·

ان هذا الايقاع لسير الاحداث سيوضح لنا الكثير من الاستنتاجات المستخلصة ٠

سيوضح لنا الاندماج أو عدمه بالفرنسيين ، والاقبال أو عكسه على ثقافتهم فقد كانت فلسفة الكثير من القبائل « العرب » وقبائل الزوايا ترفض رفضا مستميتا التغلغل الفرنسى وترى فيه القضاء عليها ، وعلى سلطتها وعاداتها ـ من جهة ـ كما ترى فى قبوله والاستسلام له كفرا وردة يقطع على مرتكبيها طريق التوبة ٠

وبالمقابل ، كانت كتل أخرى تروى فيه منقذا للبلاد فى الحد من «السيبة» ٠

وهكذا تشكلت فلسفة الاندماج أو الرفض ومدى تقبل الموريتانيين للثقافة الفرنسية وتعليمها أبناءهم وذويهم فتأسست دعوة تقوم على تشكيك الناس فى ماضيهم وهدم اعجابهم الذاتى بأحسابهم وأنسابهم فى سبيل شق طريق جديدة لاصلاحات أجنبية الشكل لائكية المضمون ٠

وقد تكون هذه الاستخلاصات معارضة لافكار شائعة ، وسبب ذلك بسيط فقد جرى حتى الان التحليل فى ضوء البنية الاجتماعية واستخلاصنا هنا يقترح قلب الادوار

زحفاً إلى القمم

شعر : خليل الخوري

تفتقى ٠٠ فالجبال السود خضراء   وأمرعى فالرياض السمر غناء
تفتقى ٠٠ هذه الواحات روضتنا   الزهر فيها لنا ٠٠ والظل والماء
تفسحى ٠٠ هذه الاحراش قد مسحت   فالشوك ما بينها زهر وانداء
هذى الوهاد لنا٠٠ هذا البساط لنا :   لا السهل سهل٠٠ولا الانجاد صحراء
سأخلع النعل من رجلى وأرفعها   فالظلم مفترش والنهب حصباء
الا ٠٠ هل انتبه الأعدا هل اعتبروا   إذ فى الحوادث تنبيه وايحاء ؟

* * *

يا زهرة المجد ذاك العرش قد ذبلت   أعشابه والحنايا منه جرداء
تفتقى ٠٠ يا شموس النصر قد أفلت   تلك الكواكب ٠٠ فهى اليوم ظلماء
توهجى٠٠ أشرقى٠٠طوفي ففى فلكى   كل الضحايا : دياجير وانواء
يا زحمة الرفض فيالاحشا قد اختنقت   همومهم فهى أنقاض واشلاء
تفسحى ٠٠ طالما عاثوا وما جرحوا   فيك الكرامة : أسوار وأسواء
وطالما عشت فى الاعماق خاطرة   مكبوتة ٠٠ ضمها صدر وأحشاء
تفسحى..قد تهاوىالسور ـيافرحىـ   وهذه ساحتى بيضاء فيحاء

* * *

هذى حقيقة وجهى غير خافية   لا يجمل اليوم تحجيب وإخفاء
كم حجبوها وكم داسوا قداستها   وكم٠٠ وكم٠٠ ليس للتاريخ إحصاء

هذى حقيقة وجهى فتشوا كبدى كم خبئت فيه ٠٠ والاجواء سوداء
هذى حقيقة وجهى جد ناصعة : ملامح غضة غضبى وأضواء
لطالما التهبت أحشاى من غضب اذ ليس يحسن اغفاء واغضاء
واليوم ٠٠ هل عرفونى؟٠٠ هل وعوا قصصى ؟
هل أتقنوا لغتى الغراء مذ جاؤوا ؟

* * *

اليوم يعرفنى من كان يجهلنى لا العين عميا ولا الآذان صماء
اليوم يفهمنى من كان محتسبا ان الجماهير أذناب اذلاء
وهكذا شفة التاريخ ان نطقت فهى العوالم : ادراك وإصغاء

* * *

تقدمى يا حشود المجد والتحمى فالفجر فى أفقنا المخضر وضاء
الزهر فى نسجه المحبوك حصتنا والنون حصتنا والواو والراء
تقدمى ٠٠ انما هذى بدايتنا وللبداية آفاق واجواء

* * *

زحفا الى القمم العليا مسيرتنا لنا هنالك معراج واسراء
زحفا اليها ففى أعلى مدارجها لنا مقام لنا عز وعلياء
وانت يا جبلى ٠٠ وانت يا سككى وانتم أيها الاسد الأشداء
هذى جنودكما ٠٠ وتلك أرضكم الجند ملتهب ٠٠ والارض معطاء

« المحاضر » جامعات الأدب والثقافة ومعاهد العلم في الصحراء

بقلم : محمد الحافظ بن أحمد

لقيام أية حضارة فى بلد ما ، لا بد من اسس ثقافية سليمة تحفظ هذه الحضارة ، وتغذيها بالمعين الفكرى الناضج الذى يشكل فى مجمله القيم والمبادىء الاخلاقية ، والروحية والعلمية • ومن هنا يجوز لنا ان نقول : ان الثقافة هى المرآة الصافية الصادقة الامينة التى تعكس ـ بمختلف جوانبها الادبية ، والفنية والعلمية ـ وجدان الامة،وعقليتها ، وتترجم عن العبقرية الخاصة بهذه الامة ، وان نظرة عابرة الى الحضارة الموريتانية كفيلة بتقديم بعض الجوانب انطلاقا من مكانة «المحاضر» ، هذه المؤسسات الثقافية التى أخذت على نفسها حمل أمانة الفكر ، فى ظروف أقل ما يمكن أن توصف به انها قاسية ، فعملت على تشييد صرح حضارة شامخة ، فمتى نشأت هذه المؤسسة المعروفة بالمحضرة وما هى الظروف المحيطة بنشأتها ؟

لمحة تاريخية عن نشأة المحاضر :

تعود البذرة الاولى لهذه المؤسسات العريقة الى بداية دولة المرابطين ، وبالذات عندما استقدم احد طلائعهم المستنيرين الداعية الاسلامى الشهير ، عبد الله بن ياسين ، الى الصحراء الموريتانية ، حيث أقام هذا الداعية ونخبة من ابناء هذا الوطن ـ من بينهم على وجه الخصوص القائد الموريتانى العظيم « ببكر بن عامر » ـ « رباطا » على بعد 60 كيلومترا من مدينة نواكشوط كان بمثابة منبع الاشعاع الدينى والثقافى • فهى اذن قد نشأت من أجل خدمة العقيدة ، والتمكين لها ، ولا ادل على ذلك من ان « الرباط » المأخوذ من المرابطة ، وهى الجهاد كان يدل بنفس المعنى تقريبا عند هؤلاء الرواد المؤسسين على الجهاد الثقافى ايضا ، ولعل من نافلة القول ان كلمة « مرابط » التى

اصبحت تطلق اليوم فى موريتانيا على من يشرف على ادارة اى من هذه المؤسسات الثقافية ذات الخطر العظيم ـ قد استمدت اشتقاقها اللغوى من لفظ « الرباط » الذى مر ذكره • تلك كانت بداية المحضرة ، وذلك الهدف الذى نشأت من أجله • ولكن التطور المذهل الذى شهدته هذه المؤسسات العلمية النشطة ، التى تعدى اشعاعها الفكرى الحدود القطرية الضيقة ، حتى تغلغل فى ادغال افريقيا ، وفى المشرق العربى ، فأعطى « لشنقيط » صورتها المضيئة فيهما ، على ايدى صفوة من أبنائنا البررة الذين سخروا حياتهم لخدمة العلم ، هذا التطور يدعونا الى ان نتساءل : كيف تم لمحضرة ان تقدم هذا العطاء الوفير ، وتصمد فى وجه الزعامة السياسية والهزات الفكرية منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ؟

دور المحاضر فى تفجير النهضة الادبية

لعل من المسلمات التاريخية ـ وهذا ما نلمسه بوضوح فى بداية العصر العباسى الثانى ، أى منذ القرن الرابع الهجرى عندما بدأت الدولة الاسلامية تتشعب الى دويلات صغيرة ـ ان تجاور عدة مراكز لكل منها استقلاله الذاتى يؤدى بصفة طبيعية فى بعض أطوار التاريخ الى لون من التنافس الايجابى ، قد يكون فى صالح الحياة الثقافية ، بما يحصل عنه تزاحم هذه الخلايا الصغيرة ، ومحاولة كل واحدة منها ان تفوز بالتفوق والامتياز ما لم يصل هذا التنافس الى الترافس ، والتطاحن ، وما لم تتعرض هذه المراكز الصغيرة لغزو أجنبى عام ، يستقطبها ويقضى عليها ، كما وقع للحضارة الاسلامية فى الشرق على يد المغول ، ومع ان بلادنا قد منيت بهيمنة الاستعمار عليها ، الا انها كانت تتوفر على نوع من المناعة تجلى فى تماسكها ، الثقافى ، واستقلالها بطابعها الثقافى ، وحفظها ،، لشخصانيتها •

واذا رحنا نطلق فكرة التنافس الايجابى هذه على المدارس الاهلية فى بلادنا ، وجدنا انها قد اخذت الوطن من جميع اقطاره ، بحيث تأسست فى كل ناحية من نواحى الوطن خلية فكرية ، تعطى تشكيلا ثقافيا خاصا ، متميزا عن باقى التشكيلات ، والخلايا الاخرى بالرغم من اتحاد المشرب العام لهذه المدارس مجتمعة ، هذا المشرب الذى يستمد أصوله من منابع الدين الاسلامى الحنيف •

ويتجلى ايضا فى وحدة المذهب ، والنمط الفكرى ، فمثلا كانت كل هذه المدارس تتألف من أتباع المذهب المالكى فى الفقه ، والاخذين بمنهج البصريين

فى النحو كما كانوا ينفعلون كلهم بالشعر الجاهلى ، ويعدونه المثل الاعلى للجمال الفنى ، بما فيه من صدق العاطفة وجزالة اللفظ ، وجودة الصياغة كل هذه علائق تعطينا فكرة واضحة عن الجوهر الواحد لطبيعة المحضرة ، ومهما يكن من وحدة هذا الجوهر وتأصله ، فان هناك تمايزا بين هذه المدارس ادى الى حدوث تنافس ايجابى نجم عنه شعور كل من هذه المؤسسات على حدة بضرورة تلافى أى نقص فى تأدية رسالة المحضرة بوجه عام ، وقد دفع هذا الشعور فى النهاية الى استمرار الاتصالات بين سائر المحاضر فقد كان « لمرابط » ـ وهو عميد المدرسة واستاذها الاكبر المفتى فى بعض الاحيان ـ كان هذا الاستاذ متصل الاسباب بطائفة غير قليلة من زملائه اساتذة المحاضر الاخرى ، تجرى بينه واياهم مراسلات هدفها تبادل الخبرات العلمية ، والتوسع فى جوانب المعرفة ، ولكنها قد تنطوى على بعض الخصومات والمناظرات قد تصل الى حد الشتم والتجريح ـ احيانا ـ الا انها على علاتها تسهم كلها فى اثراء واخصاب الحياة الفكرية العامة ، وبالتالى دفع عجلة البحث والاستقصاء العلمى .

وتنبع تلك المناقشات والمناظرات من الخلاف على حكم يصدره احد الفقهاء، فيتسامع به العلماء فى جميع المناطق الوطنية ، فما هو الا ان تنهال عليه الرسائل أشكالا وألوانا واردة من كافة المدارس تقريبا ، ينقض البعض منها هذا الحكم عروة عروة ، بينما يؤيده البعض الآخر تأييدا قد يصل الى حد المدح والتقريض فتحصل من ذلك جملة تآليف على شكل رسائل ، وفتاوى ، وأنظام ، وربما قصائد تعليمية ، تتناول كثيرا من المعضلات الفقهية ذات المساس المباشر بواقع الحياة .

وهنا يلعب الشعر دوره ليس بوصفه موصلا لهذه المعارف فحسب ، وانما بوصفه خير وسيلة للدفاع عن وجهة النظر التى ينتمى اليها كل من اصحاب هذه الردود ، وذلك لما فطر عليه الشعب الموريتانى من ميل الى الموسيقى الشعرية ولما عرف عنه من تأثير القافية العربية فى نفسه ، وهذا يجرنا حتما الى التعرض للشعر الموريتانى وعلاقته بالمدرسة الاهلية ، فنجد انالمحضرة ودورها فى النهضة الادبية الموريتانية فى الوقت الذى كان الادب العربى يعيش فترة امتحان عصيب نتيجة لخضوع الغالبية العظمى من وطننا العربى للحكم العثمانى المتعفن الذى قتل الملكات وأخمد جذوة الابتكار ، فى هذه الفترة التى وسمت فى التاريخ العربى المعاصر بفترة الانحطاط ، فى هذه

المرحلة المظلمة من الحضارة العربية ، شهدت موريتانيا المعروفة يومئذ « بشنقيط » نهضة ادبية عظيمة حيث انطلقت بلابل الشعر مغردة باعذب النغمات العربية فى جميع انحاء الصحراء الموريتانية فاعادت للضاد الشريفة حرمتها ، وكبرياءها ذلك أن الشعر الذى ظهر عندنا آنئذ كان مصحوبا بحركة علمية نشطة ، كثرت فيها التآليف والمصنفات ، وزكا فيها النقد وترعرع متخذا من روائع الشعر العربى القديم معاييره الجمالية ، وقد رافق هذه النهضة الشعرية الملفتة للنظر تطور خطير فى المدرسة اللغوية بوجه عام ، اذ أكب العلماء على ترويض القواعد النحوية ، شارحين ، ومستنبطين فنشأت عن ذلك الطرر المتعددة ، وهى عبارة عن شروح وتهميشات على الفية بن مالك ، يكاد عددها يوازى عدد المحاضر نفسها واهمها طرة ابن بونة التى طبعت بمصر وطرة العلامة يحظيه بن عبد الودود ، المعروفة بام الحواشى ، وقد هال بعض ألفقهاء ان ينصرف هذا النشاط العلمى الخصب الى أصول اللغة وحدها ، ولا يترك مجالا لعلم الفقه ، وهو الذى احب العلماء الشناقطة حتى اطلقوا عليه علم الحلال والحرام واعتبروه فرض عين ، فاثر هذا الانصراف عن الفقه فى عمداء المدرسة الفقهية ، فهبوا يلهبون الحماس الدينى داعين الى ضرورة اخذه حصة الاسد من الدراسة والتمحيص فكانوا يتمثلون فى ذلك بهذه الابيات التى حفظتها من كثرة ما رددها علينا مشائخنا فى الحضرة ٠

هو الجهل جهل الفقه ليس بجائز وجاهل علم النحو ليس بفائز
وجهل عروض الشعر شر غريزة اذا عددت يوما شرار الغرائز
ولا تجهلوا علم الحساب فانه قبيح على الفتيان عد العجائز

ويمكن ان نستنتج بسهولة ، ان هذه الدعوة الى الفقه ـ وان لم تكن تهمل ما لبقية العلوم من الاهمية ، وبعد الاثر ـ قد لقيت رد فعل شديد ، حيث ازدهرت حركة التأليف فى الفقه ازدهارا كبيرا جدا ٠٠

وعلى العموم فقد ارتبط اسم « الحضرة » بتاريخ موريتانيا التعليمى الادبى والعلمى ، وبتراثها الثقافى ، منذ أقدم العصور ٠ واغلب الظن ان حاملى لواء التحيز الى اللغة هم من الشباب الذى يمثل وجدان الامة المتحفز ويجب ان لا يعزب عن اذهاننا ان انصار هذا المذهب كانوا متصلين ايضا باسباب الثقافة الاسلامية ، وهم يرون ان التشبع بالروح العربية ، والغوص على اسرار النحو كفيل بفتح الباب للمتصدين لدراسة القرآن الكريم آية البلاغة العربية الخالدة، ومصدر الشرع الاسلامى الاول ، وما اكثر ما كانوا يرددون هذه الابيات التى تمثل عقليتهم حق التمثيل :

النحو افضل ما يقرا ويقتبس لانه لكتاب الله ملتمس
لا يستوى معرب منا وملتحن هل تستوى البغلة العرجاء والفرس
اذا الفتى عرف الاعراب كان له مهابة فى الناس حوله جلسوا

ونشتم من البيت الاخير رائحة التيه والاعجاب التى تحصل لدى المشتغلين بعلوم اللغة دون غيرهم لانهم يملكون الفانوس السحرى الذى يسيطرون به على الموقف اذا حدث جدال ،

وفى مجال افضلية الاصول اللغوية باعتبارها اساس الدراسة الدينية يقول ابن متالى :

تعلم اللغة شرعا فضلا على التخلى لعبادة العلى

ومن طريف المأثورات فى هذا الباب ان تلاميذ احدى المدارس النحوية كانوا يتندرون باخوانهم الفقهاء فيسألونهم : كيف تعربون زيدا فكان اصحاب المدرسة الفقهية يعيرونهم بجهل احكام الجنازة فيقولون وماذا تعملون انتم (بزيد) ان ادركه الموت ۰

وفى نظرى ان تقسيم مدارسنا الشعرية حسب التسلسل الزمنى يحتاج الى غير قليل من الحيطة والحذر ، فأغلب الذين لهم تمرس بدراسة الشعر الموريتانى ، وتتبع اطواره ۰ يكادون يتفقون على انه اخذ صبغته المتميزة اول ما اخذها على يد محمدبن الطلب التيرسى ، الذى اشتهر تقليده للشعر الجاهلى ان لم نقل تقمصه للنفسية العربية فى العصر الجاهلى ۰۰ فهو كان يجنى القسى ويحدد ليقتنص الثيران الوحشية ، كما كان يفعل اجداده من عرب الجزيرة ، ثم هو كان يحب اللغة لحد الكلف الى ان عرف الناس عنه ولوعه بالقاموس المحيط ۰

وربما يرى البعض انه قد حفظه ، ولكن السلسلة الشعرية بعد هذا الشاعر الكبير غير مطردة اطرادا عموديا ، كل ما نستطيع ان نجزم به ان بلادنا لم تخل فى عصر من العصور من مئات ان لم نقل الاف من الشعراء المجددين ـ ولكن المقياس الزمنى وحده غير صالح لتبويب هذا الشعر بالنظر الى التجديد والابتكار ، فبينما نجد المدرسة الاندلسية ممثلة عندنا فى محمد بن محمدى ، نلاحظ ان الفترة التى ربطت بينهما وبين محمد ابن احميد لاتخلو من حلقات شبه مفرغة ظهر فيها شعراء مقلدون اعادوا لمدرسة محمد ابن الطلب شبابها ربما لاحظ القارىء ان عنايتنا ببقية المعارف الاخرى التى تتضمنها دائرة المعرف « المحضرة » ترتكز على الشعر ، وذلك عائد فى الاغلب الى سيطرة هذا

الشعر على وجدان امتنا ، فقد كثر تراث موريتانيا الشعرى كثرة تستدعى من الباحث ان يفرد لهذا اللون من النشاط الابداعى فكرة خاصة ، والشعر كما يقول « اليوت » يمثل اوج الوعى فى الامة ، وسمت قوتها وارهف احاسيسها ، ومع ذلك تظل المعارف الاسلامية بجميع فروعها هى المحرك الاول لهذه المواهب، لمكان الشريعة الاسلامية من نفس الانسان الموريتانى ٠

ان الموريتانيين بفضل « المحضرة » التى تعتبر الرافد التثقيفى الاساسى لهم والتى كانت المدرسة الوحيدة فى البلاد قبل حلول الاستعمار البغيض ـ استطاعوا ان يتخلصوا من الامية الغفل بوجه عام ، ذلك ان العرف الاجتماعى يقضى بضرورة انتساب الطفل فى ربيع حياته الى هذه المؤسسة ويعتبر التخلف عنها سبة وعارا وخصوصا فى اوساط « الزوايا » (قبائل العلم) الذين يشكلون المنطلق الاساسى لهذه المدرسة ٠

ان تعاطى الموريتانيين لهذا اللون من الدراسة ادى الى انخفاض نسبة الامية الى حد ان بعض الاحصاءات التى اعقبت فجر الاستقلال تذكر ان نسبة المتعلمين الذين يجيدون القراءة والكتابة تقارب ٨٠٪ من مجموع شعبنا٠ وحسب المدرسة الاهلية فخرا ان ينسب اليها القيام بهذا العطاء الثقافى العظيم فهى بدون مبالغة او تزويق ـ استطاعت بوسائلها المحدودة ، ورغم نواقصها الكثيرة ، ان تنشر المعرفة بصورة واسعة على اديم هذه الارض الطيبة المعطاء ، كما تحدت الاستعمار البربرى بما يحمله من سموم ثقافية قاتلة ، فالمحضرة اذن هى القلعة الحصينة التى تحطمت على اعتابها كل محاولات المسخ والسلب التى تعرض لها وطننا الحبيب ، وهى المنارة التى ظلت على وجه الدهر حافظة لثقافتنا ولغتنا ، العربية العزيزة وتراثنا الادبى، والفكرى كما انها كانت الدرع الحصين فى مواجهة السيطرة الاجنبية وهنا نذكر على سبيل المثال اصرار أقطاب المحاضر على مقاطعة التعليم الاستعمارى ونمط الحياة الاستعمارية وبث روح النفور من هذا الجسد الغريب ، باعتباره عدوا للاخلاق والمثل ٠

واود ان انبه هنا الى خطورة النظرة السطحية الشائعة المنحرفة عن بؤرة الضوء ، المجافية لزاوية الرؤية السديدة لفكر المستعمر واهدافه الاستراتيجية نتيجة الخداع بالبهرجة والطلاء اللذين يظهرهما المستعمر ليخفى طبيعته الحقيقية ، فالاستعمار ـ وهو الخبير بمسالك النفس الانسانية ودروبها ، والعارف بتمسك الشعوب بمأثوراتها الحضارية ، ولا سيما ان استندت هذه

المأثورات الى عقيدة اصلية ـ لهذا كان المستعمر اذكى من ان يعلن على الملا ابعاد نظريته لانه يدرك بقرون استشعاره الاستعمارية ان مثل هذا التصرف لن يكون فى صالحه على الاطلاق ، وهنا نضع اصابعنا على موقع حساس من مواقف الاستعمار عموما ، وهو ان الاستعمار تنازل للامة فى الظاهر عن الكثير من التقاليد ، والاعراف وسمح لها بممارسة مقدساتها الاسلامية ، مكرها لا بطلا لانه كان يتحاشى الطرق المؤدية الى اثارة عواطف الشعب وغمز ابائه ، فتظاهر بالبراءة ، والموادعة وربما البلاهة فى كثير من الاحيان ولكنه ظل يعمل فى صمت مستمدا ارادته من المثل الاروبى الذى يصف التخطيط الرصين للهدف الحقيقى بانه : « بطىء ولكنه مضمون النتائج ، ومؤكد »

ومهما كان من أمر ، فقد ظلت « المحضرة » الموريتانية تحتفظ بمكانتها كمدرسة عليا لتربية النابغين وغير النابغين ٠٠ ولم تكن هذه التربية تتمثل فى مجرد تلقين علوم اللغة العربية والشرع الاسلامى بل كانت تمتد فى خدمتها للفرد الموريتانى الى حد تكوينه تكوينا اجتماعيا وخلقيا يمكنه من مواجهة مختلف اعباء الحياة ، ففى « المحضرة » ايضا ، كان الانسان الموريتانى يتعلم كيف يتعامل مع الاخرين ٠٠ كيف يعيش معهم ويحتك بهم لانها (اى المحضرة) تعتمد على التعايش والاحتكاك ٠٠ وفيها ايضا كان هذا الانسان يتلقى اوسع الدروس فى اعمال البيت وتدبير الحياة ، حيث تقوم دعائمها دائما على الاكتفاء الذاتى والعمل الدورى المنتظم ، الذى يمارس الطلبة من خلاله تسيير الشؤون المادية فى الحياة اليومية (الزراعة التنمية الحيوانية ـ الطبخ ـ ارتياد المياه ٠٠ الخ) ،

وقد تخرج من « المحضرة » كثير من الاعلام الموريتانيين الذين ساهموا بجدارة فى بناء الانتعاش الثقافى العربى فى العصور الاخيرة ٠٠

لقد ارتبط اسم « المحضرة » ارتباطا وثيقا ، بتاريخ موريتانيا التعليمى ، والادبى والعلمى وبتراثنا الثقافى ، منذ اقدم العصور حتى اليوم ٠ اذ انها قد ظلت طيلة اجيال عديدة هى منار العلم والادب ٠٠ وظل اساتذتها من مشايخ العلم يحملون امانة نشر الثقافة الاسلامية والعربية ، واحياء التراث ٠٠ وحماية الاصالة العربية والدينية ، كما كانوا ائمة التقوى ، والهداية ، والارشاد ، النافذى الكلمة والمطاعى الرأى فى اوساط المجتمع ٠٠ وفخر البلاد الشنقيطية ٠٠

ومن المحضرة ، تخرج سائر شعرائنا وادبائنا النابهين ، وذلك في وقت كانت فيه المحضرة هي (الجامعة) الوحيدة التي يقصدها طلبة العلم والفقه ، ويرتادها شداة الادب ، من جميع الشناقطة ، وكان اساتذتها الاجلاء يستقبلون في مبناها المتواضع في جلال ووقار ، كافة الطلاب الذين يفدون اليها من مختلف الانحاء ـ بكل مودة وترحاب ويجتهدون في تلقينهم العلم ، وشتى ضروب المعرفة ، من دين ، وفقه ، وأصول وسيرة ولغة ، ونحو ، ومنطق ؛ وبيان .. الخ ، ويسبغون عليهم كل رعاية ، وتشجيع وارشاد ، ويبذلون لهم كل مساعدة مادية ومعنوية ، مدة تلقيهم العلم في محاضرهم كل ذلك باخلاص وكرم وتجرد ، وبدون اى مقابل .. خدمة للعلم وأداء رسالته المقدسة .

وقد كان طلاب (المحاضر) كذلك ، يكنون خالص الوفاء والحب ، ووافر التقدير والاجلال لاساتذتهم ، ومشائخهم ، ويتفانون في طاعتهم وخدمتهم ، وايضا في تعلمهم بالمحضرة وانكبابهم على كتبهم والواح دراستهم .

وقد كان للمحضرة ، قديما ، طرائف واخبار ، تستطاب وتستجاد ، نجدها مبثوثة ، في ثنايا المراجع التراثية والادبية ، وفيما خلفه لنا الاوائل من أدب ، وشعر ، وأخبار تتصل بهذه المدرسة ـ الجامعة ، ووصف نظمها ووسائلها التعليمية البدائية ، وحياة الطلاب فيها ، وهي تدلنا على المكانة المرموقة التي كانت تحتلها (المحضرة) في نفوس اجدادنا وعلى مدى تمركز امور الثقافة ، والادب ، في حياتهم العامة ، في ذلك الوقت ..

وقد كان الاديب الشاعر محمد بن حبنل ، أحد تلامذة المحاضر وخريجيها ، الذين خلدوا ـ نظما ـ مشاعرهم ، نحو (محضرتهم) ارتضعوا فيها افاويق العلم والعرفان ، وانكبابهم على الدرس والتحصيل للنهل من معين المعارف والاداب ، وتعلقهم بالالواح والكتب والمتون العلمية ، والنصوص الدراسية في المحضرة وهجرهم لجميع مغريات الحياة ومباهجها ومتعها ، التي كانت تتراءى لهم خارج جو المحضرة الصارم مستعيضين عن كل ذلك بلذة التحصيل والبحث ، وارواء غليلهم في لمعرفة ، واشباع نهمهم العلمي ، وذلك في هذه التحية الرائعة التي يهديها للوح تعلمه في المحضرة .

عم صباحا افلحت كل فلاح فيك يا لوح لم أطع الف لاحي
'نت يا لوح صاحبي وانيسي وشفائي من غلتي ولواحي

فانتصاح امرىء يروم اعتياضي طلب الوفر ـ منك ، شر انتصاح
بك لا بالشرا ، كلفت قديما ومحياك ، لا وجوه الملاح
٠٠ رب خود ، ماء النعيم عليها جريان الزلال في الصفاح
قد تسليت عن رسيس هواها بك حتى كأنني جد صاحي
بل يمينا بواردات البطاح يتبارين ، ضمرا كالقداح
أفتأ الدهر ، هاجرا للغواني ووصولا للكتب والالواح ٠٠

ومن أهم هذه المتع والمغريات التي كانت تستهوى الطلاب في المحضرة ، هي التنزه بين بيوتات الاحياء المجاورة في فترات الراحة والاجتماع بالصحاب والصواحب ، ومغازلة الفتيات والتحدث اليهن ٠٠ الخ ٠ وكان مشايخ (المحضرة) يتشددون ، نوعاما ، على طلبتهم في هذه الامور ، وبالاخص ، في تردد الطلاب على مجالس الفتيات بحجة ان فيه شاغلا للطالب ، عن استظهار ومذاكرة الدروس التي يتلقاها في المحضرة اضافة انهم يرون فيه مخالفة لتعاليم الشرع ، مما يتنافى مع جو الوقار والاحتشام المفروض في المحضرة في حين كان يرى الطلبة في مثل هذه النزه ، وهذه الاحاديث وسيلة للترويح عن النفس ، وسببا لتجديد النشاط العقلي في ساعات الدرس ٠

وقد بلغ من تشدد بعض مشايخ المحاضر ، انه حكم على احد تلامذته بالطرد من المحضرة وطلب اليه الالتحاق باهله ، فوجه اليه الطالب بهذين البيتين يتنصل فيهما مما اشيع عنه ، ويوضح فيهما موقفه من حياة اللهو والتفتح ٠٠ والتعلم بالمحضرة :

همنا العلم ، لامراض الجفون لا تظنوا مرجمات الظنون
ان هزلا أقوله في المجون لمعين على صعاب الفنون

ويقدم العلامة الكبير الشيخ سيدي ، نصحه وارشاده للطلاب وارباب الالواح باعتزال حياة المجون واللهو ، على هامش المحضرة والتردد على النساء ومغازلتهن ، ويشرح خطر تعاطي مثل هذه الحياة ، على وقت الطلاب ومستقبل دراستهم ، فيقول :

وما افسد الالواح والهم والتقى كبيض التراقي ، مشرفات الحقائب
فمن كان ذا لوح ، وهم وطاعة فلا يدنون مستصبيات اللواعب،

وقد كان الاديب محمد بن السالم ـ فيما يبدو ـ فى طليعة الملبين لنـداء شيخه المتقدم والمتمثلين لفحوى نصيحته وارشاده باعتـزال حيـاة العواطـف والمغازلات فى فترة الاقامة بالمحضرة وصحبة مشايـخ العلـم ، وفـى مقدمـة السابقين الى ادراك امتناع الجمع بين هاتين الحالتين حياة اللهو وحياة التعلم فى نطاق المحضرة ونظامها الداخلى الذى يسهر المشايخ على تطبيقه واحترامه٠٠ ذلك ما يتضح لنا من خلال ما جاء فى مناجاته لطيف محبوبته ، الذى طاف به ، وهو طالب بمحضرة الشيخ :

أهـلا وسهـلا بطيف الخـود فاطمـة لكـن رقيـة آل الشيـخ فـى عنقـى
لا تحسبنـى نفثـات ٱلشيـخ مبقيـة مرمى لنبل لحـاظ الجـوذر الخـرق
لو كنت اصبو الى خود لكنت ٠٠ ولكن ليس وصل الغوانى اليوم من خلقى

هجرتي وهذه أيامي

شعر: ناجي محمد الامام

يا سائلي اني وقفت مودعا عهد الصبا ومرابع اللذات
حيران يوجعني تحرق مهجتي واحبتي حولي وحزن لداتي
ودعتهم وبمهجتي لفراقهم نار الجوى مشبوبة الجمرات
وذهبت للسنغال فردا لا أرى حولي سوى الآلام والحسرات
حتى دخلت رياضه فكأنني غريد تلك الحور والجنات
أحدقن بي لما دخلت الى الحمى وسألن: من هذا الغريب الآتي؟
سمة الكآبة في ملامح وجهه والشعر فيه مشرق القسمات
واحطن بي مثل الملائك خشعا يسمعن اشعاري ومر شكاتي
فتثيرهن على الحياة كآبتي وتهزهن صبابة أبياتي
ما زلن يلهين الفؤاد عن الاسى ببدائع الالفاظ والبسمات
ويدرن من عذب الحديث سلافة تلهي المشوق عن الحبيب الآتي
حتى رأيت القلب جن جنونه بين الشفاه اللعس والوجنات
ثملا بأكواب السرور تحف بي عين المها من سائر الجنبات
حتى مضى طيف الهناء كانه لحن تقلب في هوى النبرات

مصادر التاريخ الموريتاني...
بين الآثار والمصنفات

بقلم : محمد الطنشي بن محمد صالح

كل بلد فى العالم له ما قبل تاريخ وله تاريخ ، والفترة الاولى أطول فى العالم كله من الثانية وأطول فى بعض القارات والبلدان من بعض فقد انتهت فى مصر قبل اوربا وانتهت فى اوربا قبل بقية القارة الافريقية وانتهت فى افريقيا قبل امريكا ولكنها (اعنى فترة ماقبل التاريخ) ظلت قائمة فى بعض البلدان ، وخصوصا من القارة الافريقية ، حتى القرن الماضى • وفى هذه الفترة خلف الانسان فى بعض الاحيان أشياء تدل عليه وتصف فى أغلب الحالات ظروف ووسائل حياته •

أما فترة التاريخ فهى التى قدر للانسان فيها ان يدون ما يحدث له متدرجا من الحوادث البسيطة ، وبالوسائل الرمزية ، الى تسجيل الاحداث

العناصر التى تمكن من معرفة التاريخ الموريتاني :

توجد فى أنحاء كثيرة من الجمهورية الاسلامية الموريتانية عدة آثار تدل دلالة قطعية على أن الانسان البدائى عاش هناك منذ آلاف السنين ، ومن هذه الاثار ادوات نحتت من الحجارة واستعملت آنذاك فى المنازل ، وفى مختلف مظاهر الحياة اليومية للانسان ، ومن هذه الادوات الحجرية ما هو مكيف فقط• ومنها ما هو مهذب مما يدل على وجود الانسان فى موريتانيا ، أثناء مراحل العصر الحجرى كلها • وكثيرا ما نلتقى اليوم بمثل تلك الادوات ملقاة على الطرقات دون أن تثير اهتمامنا وخصوصا فى المناطق الموريتانية التى توجد بها الحجارة ، وأذكر من ذلك على سبيل المثال ما تطلق عليه العامة « كويديم الذئب » أى « قادوم الذئب » وهى على شكل « قادوم » مهذب من الحجارة كان الانسان يستعملها للقطع ونحوه ، ومن ذلك ايضا « آدكى » وهو اناء مصنوع من

الحجارة و « الباروكة » وهى كرة حجرية مهذبة فى مهارة عجيبة قد تكون تستعمل للرمى بوسيلة ما ، ومن نوعها ـ الا انه اكبر واقل تهذيبا ـ ما يوجد فى آثار الرومان بتونس وفى آثار غيرهم من الامم البائدة فى البلدان الاخرى ، وكان يستعمل كقذائف للمجانيق ، وقد جمع من مثل هذه الادوات الشىء الكثير فى مختلف المناطق الموريتانية الا انه كان ينقل اثناء الاحتلال الى المعهد الفرنسى لافريقيا السوداء الموجود حاليا فى داكار ٠ (IFAN)

ومن الاثار القديمة ايضا تلك المسلات او الحجارة ذوات الشكل الطويل التى نجدها مقامة فى أماكن مختلفة من البلاد وخصوصا فى « تجريت » وأماكن من «زمور» ، وفى « المغادر » بالقرب من شنقيط ، وفى تكانت من نواحى كيو ،وفى غيرها ٠ ويختلف الاثريون فى الاغراض التى نصبت من اجلها هذه الحجارة فلعل منها ما هو معبود لقوم وما هو تعريف لقبر سيد ٠٠ او تعريف لمكان مهم من الارض او تذكار لمناسبة من المناسبات الهامة ٠٠ ومن الاثار القديمة ايضا بعض النقوش التى توجد فى أماكن متعددة من البلاد ٠ وقد وقعت بنفسى على بعض هذه النقوش فى جبال آدرار بالقرب من الطريق التى تصل أطار بشنقيط ، وشاهدت صورا لحيوانات مختلفة من بينها الزرافة والفيل ، كما وقفت ايضا على نقوش اخرى « بتلبه » من ضواحى « وادان » ، وفى هذه النقوش صور لعربات تجرها الخيول ، وصور لبعض الحيوانات الاخرى كما توجد الى جانب النقوش المذكورة رموز استعصى على حلها ٠

والى جانب ما تقدم توجد آثار الجدران والقبور القديمة والكهوف المنحوتة فى الجبال ، ومن أعجب ما اطلعت عليه كهف فى المكان المسمى « تيرجيت » غير بعيد من مدينة اطار وهو آية فى الروعة والجمال ٠ وهذا الذى ذكرته قليل من كثير ٠

نمط الحياة عند الموريتانيين الاوائل :

من الصعب تكييف الحياة عند الموريتانيين الاوائل ويمكن القول بانها لم تكن تختلف كثيرا عن نمط الحياة عند الانسان البدائى فى المراحل الاولى ثم اصبحت نوعا آخر من الحياة تتلاءم وبيئة البلاد ٠ ولا يمكننى القول بان البلاد قد عرفت درجة مهمة من الحضارة ولا انها عرفت الازدهار التام فى عهودها المبكرة الا اننى استطيع التأكيد بان موريتانيا سبق لها ان عرفت ضروبا من الحياة لم يصل اليها الانسان فى بعض النواحى الاخرى من المعمورة الا بعد أمد طويل ، فالنقوش الموجودة والتى ترجع فى تاريخها ، ولا شك ، ال

ما قبل الاسلام بقرون عديدة تنبىء ان اهل هذه البلاد قد عرفوا العربات التي تجرها الخيول ، وعرفوا استعمال كثير من الادوات التى تستعمل فى الفلاحة والصيد والحروب كما أن تلك النقوش تدلنا من جهة اخرى على أن البلاد قد عرفت ظروفا اقل قساوة من الظروف الطبيعية الحالية وان البلاد كانت أكثر خصبا، فمثلا تمثل النقوش الموجودة فى شمالى البلاد صورا للزافة والفيل والمعلوم ان هذين الحيوانين وخصوصا الفيلة لا تسكن الا فى بلاد الخصب الكبير ، وارجو ان لا نكون قد ابتعدنا عن الموضوع بحيث أن الذى يهمنا الان هو الالمام فقط ببعض العناصر التى يمكن أن يعتمد عليها الباحث لجمع شتات التاريخ الموريتانى ٠

دور الرواية الشفهية والاساطير فى التاريخ الموريتانى

للرواية الشفهية والاساطير دور مهم فى حفظ التاريخ ليس فى موريتانيا فحسب بل حتى فى جميع بلدان العالم بما فيها تلك التى سجلت أحداثها منذ عشرات القرون ٠ الا ان هذا الدور لا يمكن ان يظل مهما الى الابد فالرواية الشفهية لا تستطيع ان تستمر ردحا طويلا من الزمن بدون ان يدخلها التناقض والخلط والاضطراب ٠ والاساطير بدورها فقد تدل الباحث على جوانب مهمة من التاريخ ولا يقبل ان تكون هى نفسها تاريخا ٠٠ وبالرغم من هذا كله فان الرواية لا تزال مصدرا لكثير من الاحداث التى مرت بها البلاد الموريتانية ، الا ان الوقت قد حان لمراجعة تلك الروايات وتدوين المهم والاعراض عن غير المهم كما يجب التشهير بالفاسد المدلس للحقائق والعمل على محوه وانتزاعه من افكار الناس باحلال الحقيقة مكانه ، واضرب مثلا لذلك فكل من لم تتح له معرفة التاريخ المكتوب ــ اذا سئل عمن فتح موريتانيا وادخل اليها الاسلام ، يقول على البديهة : « ببكر بن عامر » رجل جاء من المغرب ودوخ البلاد وحمل اهلها على اعتناق الديانة الاسلامية ٠ وهذا اكبر خطأ وافدحه حتى ان بعض الذين قيدوا بعض النبذ من تاريخ البلاد اتخذوا من هذه الرواية المغلوطة قاعدة بنوا عليها ما كتبوه وجعلوه حقائق مسلما بها ٠ ولا داعى ان أقول ان الرواية باطلة فى عدد كبير من جوانبها فببكر بن عامر هو مواطن موريتانى صميم ولم يأت من الخارج لنشر الاسلام لا ولم يأت كذلك من الخارج ليغتصب ملكا فى موريتانيا لم يتركه له آباؤه واجداده وانما كان مواطنا واميرا موريتانيا غيورا على الاسلام وعلى الوطن عمل على نشر الاسلام واذكاء شعلة الوطنية (راجع بقية مقالات العدد) ٠

ومن اهم الاساطير الموريتانية التى دخلت الى صميم التاريخ تلك التى تتعلق « بيافور » حيث نسج الاسطوريون حول هذا الاسم وخصوصا فى شمال البلاد ما لا حصر له من الاساطير ، واصبحنا نجد بعض ذلك فيما يكتبه الاجانب عن موريتانيا حتى ذهب بهم تيار الاساطير الى الاعتقاد بان الاسم نفسه مختلق والحقيقة تنافى ذلك لان « يافور » قبيلة موريتانية عرفها التاريخ فعلا ٠

هكذا رأينا ان الاثار وان الرواية الشفهية والاسطورة كلها عناصر قد تسهم وتساعد على معرفة ما مضى غير مكتوب من التاريخ كما انها تعضد فى بعض الاحيان ما كتب من هذا التاريخ ولكن الاعتماد عليها كمرجع وحيد لا يمكن ان يستمرالى وقت طويل والاثار أهم من الرواية وهذه أهم من الاسطورة ٠

موريتانيا فى التاريخ المكتوب :

طبعا التاريخ المكتوب هو الذى يمكن الرجوع اليه بصفته شيئا موجودا يبقى على مر السنين دون ان تنال منه عوامل التعرية كما تنال من الاثار ، ولا ان يقع فيه الخلط والاضطراب كما يقع ذلك فى الرواية الشفهية ، الا ان الحظ لم يسعد كل البلدان فى ان يكون لها تاريخ مكتوب منذ اقدم عصورها مما اضطر المؤرخين الى الاعتماد فى تاريخها على ما نقلوه عن الرواة ، ولذلك وقع الاضطراب والتناقض فيما كتبه اولئك المؤرخون لان الراوى تخونه ذاكرته تارة، ويتحيز لطائفة معينة تارة اخرى ، فلا يحفظ الا ما كان فى صالح جماعته وربما ينسب اليها من الامجاد والبطولات الخيالية ما لا يتصور الا فى ذهنه هو كما يخيل اليه ان الجماعة التى كانت فى الطرف الاخر عاشت مجردة من كل مجد وليس لها مكان تستطيع ان تقول انه وطن لها ٠ والطامة الكبرى تاتى عندما يقابل مؤرخ آخر رواية لاخبار الجماعة الاخيرة فينقلب الامر رأسا على عقب ويظهر كتابان متناقضان كل التناقض فى تاريخ بلد واحد ، وذلك مع الاسف ما هو موجود الان فى كثير من البلدان الافريقية التى لم يكتب عنها القدماء من الرحالة والمؤرخين العرب ولم يصل اليها الاستعمار الا متأخرا ٠ وقد ساعد الحظ والحمد لله موريتانيا فلم تكن من هذا النوع من البلدان بفضل دخول الاسلام اليها فى فترة مبكرة من انتشاره فى افريقيا الشمالية ، وزارها الرحالون العرب وكتبوا عنها ، واحتكت بالعالم الخارجى طيلة كثير من الزمن وظهرت فيها الدول العظيمة وانطلقت منها الحملات التى حولت مجرى التاريخ فى العالم وظلت طوال قرون عديدة ملتقى بين عالمين ومركزا مهما للتبادل التجارى فيما بينهما ٠ كل ذلك لفت انظار المؤرخين اليها وجعلهم يكتبون عنها ويحاولون

الكشف عن حقائقها ويتناولون باقلامهم طبائع شعوبها وعوائد اهلها الى غير ذلك مما يأتي عليه التاريخ ٠

وينقسم الذين كتبوا عن موريتانيا الى أربعة أقسام :

1 ـ الرحالة والمؤرخون العرب

وأقصد من بين هؤلاء الرحالين الذين زاروا موريتانيا وكتبوا عنهــا بعض أجلاء المؤرخين العرب الذين شاع ذكرهم ودوى صيت كتاباتهم حتى عم انحاء المعمورة ٠

فقد زار موريتانيا من مشاهير الرحالة العرب ثلاثة هم : « ابن حوقل » فى النصف الاخير من القرن العاشر الميلادى ، وترك لنا مجموعة لا يستهان بها من من اخبار البلاد وخصوصا عن مدينة أودغست وامبراطورية غانا وزارها كذلك ابن بطوطة والبكرى ٠٠

2 ـ الاروبيــون :

وهم على قسمين ، منهم من زار موريتانيا واتصل باهلها وكتب ما سمعــه منهم او ما شاهده هو بعينه ومنهم من اخذ فقط من الكتب التى كتبــت قبلــه فجمع شواردها ولم شتاتها فى كتاب واحد عن موريتانيا بمفردها او عنها داخل مجموعة من البلدان ٠ وقبل ان اعلق على كتابات الاوروبيين لا يسعنى الا ان اشكر لبعضهم الجهود التى بذلوها فى جمع شتات التاريخ ، والمحاولات القيمة التى قاموا بها فى التمحيص والتنقيب حيث استهدفت رد الامور الى نصابهــا بتحديد الاماكن وضبط التواريخ والبحث فى القضايا الاجتماعيــة وســوف لا نطيل الكلام فى تعداد المؤرخين الاروبيين لكثرتهم من جهــة وعــدم احاطتنــا بمعرفتهم ولان الامر لا يهمنا بقدر ما يهمنا التعليق على كتاباتهم من جهة ثانية٠

كان البرتغاليون أول الاروبيون الذين اتصلوا بموريتانيا منذ القرن الخامس عشر الميلادى وكتبوا اشياء تتعلق بنواحى جغرافية واقتصادية على الخصوص ولا اظنهم على ما اعلم تعرضوا لجوانب مهمة اخرى تخص صميم التاريــخ فــى مفهومه الحقيقى ٠٠ ثم تتابعت بعد البرتغال على الشواطىء الموريتانية كل من اسبانيا وهولندا وبريطانيا وفرنسا واهتم الجميع آنذاك بالمسائل الجغرافية والاقتصادية اكثر من التاريخية حتى القرن التاسع عشر حيث اصبح الفرنسيون على الخصوص اكثر احتكاكا بالسكان الموريتانيين فبدؤوا يتطلعون الى معرفة

بلادهم واحوالهم ، ثم نشأت الاطماع الاستعمارية بعد ذلك ، واهتم الفرنسيون منذ اواسط القرن التاسع عشر بداخل البلاد فوجهوا اليها البعثات وحاولوا الحصول على المزيد من المعلومات عنها وسجلوا من ذلك ما امكنهم ، الا ان اهم ما كتبوه عنها يرجع فى تاريخه الى القرن الحالى حيث كتب الكثيرون من الضباط الفرنسيون عن مغامراتهم داخل الصحراء ، وتحدثوا فى مذكراتهم عن المعارك التى اصطدموا فيها بالمواطنين الموريتانيين ثم ما لبثت هذه المذكرات ان اصبحت كتبا تاريخية نشرها وعلق عليها سواء اصحابها بانفسهم وسواء كتاب آخرون ، وساعد ذلك ايضا رجال الابحاث والمؤرخين فوضع البعض منهم مصنفات عن موريتانيا وترجم البعض ما عثر عليه من كتابات تهم تاريخنا من العربية الى الفرنسية ككتاب « شيم الزوايا » و « أمر الوالى ناصر الدين » ونبذة للشيخ احمد بن سليمان « والانساب الموريتانية » .. واستمر الامر كذلك حتى جاء الاستقلال فلفت انظار الكثير من الكتاب الفرنسيين وغير الفرنسيين فكتبوا عن موريتانيا الشىء الكثير .

قيمة ما يكتبه الاوروبيون حديثا عن موريتانيا

يمتاز ما يكتبه الاوروبيون منذ عهد الحماية بالدقة فى التاريخ بالنسبة للاحداث التى عاشوها سواء فى ذلك الاحداث السياسية او غيرها .. اما ما كتبوه عن الفترات التى سبقت ذلك وخصوصا ما نقلوه عن المؤرخين العرب فيتعرض غالبا للاغلاط التاريخية وللخلط ويرجع الكثير من ذلك الى عدم اتقان الترجمة غالبا وبوجه عام اذا نحن استثنينا من كتابات الاوروبيين ضبط التواريخ وجمع شتات عدد لا يستهان به من المعلومات عن تاريخ البلاد الموريتانية نجد البقية اقل بكثير من فائدتها وخصوصا الفرنسيين ، وما من عموم الا وتحته خصوص . ويرجع ذلك الى انها تمتاز فى جملتها بالطابع الاستعمارى من تجاهل الحقائق ودس الدسائس وتشويه سمعة البلاد والمواطنين واذا حاولنا ان نلتمس لهم العذر فى جهل اللغة وان المجتمع الموريتانى ظل الى عهد قريب متعصبا ضد غير المسلمين وظروفه المعاشية وطبيعة حياته لا تسمح للباحثين بالاطلاع على حقيقة الامور عنده فاننا نجد لهم العذر فى الاستعجال فى البحث واصدار الاحكام الجائرة وسناخذ كمثال لذلك اربعة من الكتب التى اطلعت عليها عن موريتانيا لكتاب فرنسيين :

أولا : مقاطعة آدرار Colonie de l'Adrar

للعقيد غورو Gouraud صاحب الحملة على منطقة آدرار سنة 1908 — 1909 ، واذا كان من حق هذا الضابط الاستعماري ان يتحدث عن بطولاته وشجاعة جنوده ، فما إخال ان له الحق في القدح والتشنيع بالمواطنين الموريتانيين ولا ان يصنفهم بالذئاب الجياع في غير ما مرة من حديثه ، وليس له كذلك أن يصف تقاليدهم وعاداتهم — اذا لم تكن تتفق وعاداته وتقاليده — بالسفولة والنذالة ، وكان حريا به ليؤكد شجاعة جنوده أن يعترف بشجاعة الموريتانيين لان شجاعة وقوة المغلوب تبرهن عن شجاعة وقوة الغالب وحبذا لو عمل « كورو » حسابه في موضوع توازن القوى بين الطرفين المتحاربين اللذين كان يمثل احدهما والتمس العذر للوطنيين الموريتانيين خلال ذلك .

ثانيا : التغلغل داخل موريتانيا le Pénétration en Mauritanie

لبريفتال غيليان Brevete la Gillien

طبعة باريس سنة 1926

يتحدث هذا الضابط بدوره عن الموريتانيين ولكنه يعترف لهم بكثير من الشجاعة والاقدام وكتابه في جملته لا بأس به ، يكاد يكون خلوا من التحامل لولا بعض الهفوات تعرض فيها للموريتانيين واتهمهم بارتكاب الجرائم الفظيعة في عدة قضايا من بينها قضايا الجنس مما لا يتفق بتاتا وعوائد الموريتانيين ويتنافى مع الدين الاسلامي ، وكتابه رغم اعتداله يقدح الى حد بعيد في سمعة الانسان الموريتاني وفائدته تكاد تنحصر في ضبط الاحداث .

ثالثا : صحراء خصبة Desert Fertile : Un Nouveau Etat, la Mauritanie

للكاتبة الفرنسية : كرستين غارنييه Christine Garnier

صدر سنة 1960 .

وحاولت هذه الكاتبة ان تلقى نظرة عامة على التاريخ الموريتاني قديمه وحديثه ، وكانت الى جانب ذلك تحاول التملق واظهار الاعجاب بالموريتانيين وتخلط الغث بالسمين ، وارتكبت من الناحية التاريخية اغلاطا فادحة ومن أهمها انها جعلت حرب « شرببه » المعروفة (1644 — 1674) حربا بين عرب غزاة « المغافرة » وبين بربر أصليين في البلاد « تشمشه » وهذا مردود من اصله ، فحرب « شربب » لم تكن من اجل التنازع على السلطان بين الاطراف المعنية وانما بدأت لاسباب دينية ، والطرفان المتنازعان اصيلان ، فالامر يختلف

كل الاختلاف عما اعتمدته « كريستين » وتواتر عليه اكثر المؤرخين الغربيين ، والذى يعنى ان العرب اتوا البلاد غزاة واجتاحوها بالسلب والنهب وان البربر ثاروا فى وجههم وحاولوا صدهم الا ان الحظ لم يساعدهم ووقعوا مكرهين تحت السلطة العربية فهذا افتراء على التاريخ وتدليس للحقائق ٠

وخاضت « كريستين » كذلك ملحمة المرابطين وهى تتخبط وتتعثر بالاغلاط، وما على الراغب فى المزيد من الاغلاط الا ان يراجع الكتاب المذكور مع مقارنتـه بالكتب التاريخية المعتمدة ٠

والى جانب الاخطاء التاريخية يمتاز مؤلف « كريستين » بالتحامل الشديد على الموريتانيين وصوغ هذا التحامل احيانا فى قالب مـن التنكيـت وسـرد الحوادث الباطلة فبينما نراها تدعى ان العرب استعبدوا ذرارى ، ونساء البربر فى موريتانيا ، نجدها مرات أخرى تصف علاقات الموريتانيين والسود باشنـع وافظع الاوصاف ، وتتعرض كريستين لذكر الامراء الموريتانييـن السابقيـن وتتهمهم بانحلال الاخلاق وخبث السجايا مما يطول ذكره وخصوصا منهم امراء الترارزة فى القرن التاسع عشر ، ويكفى المستمع ان يمعن النظر فى صفحات ولو قليلة من هذا الكتاب ليصب لعنته على الكاتبة وما كتبت ٠

رابعا : مدخل للتاريخ الموريتانى 1934 ــ 1900

Contribution à l'histoire de la Mauritanie

للكاتبة الفرنسية جنيفيف ديزيرى فلمين Genevive Desiré

طبعة داكار سنة 1962 ٠

ويمتاز هذا الكتاب بأن قدمت له احدى الشخصيات الموريتانية البارزة مـع مساهمة مالية من طرف الدولة الموريتانية ٠٠ وقد استطاعت المؤلفة ان تجمع فى صفحات كتابها التى تنيف على اربعمائة ما لم يجمعه احد قبلها من المستندات التى تتعلق بالفترة المؤرخ لها ، كما عملت له ملحقا بجوانب سياسية مهمة فى الفترة التى اعقبت 1934 الى ما بعد استقلال البلاد ٠٠ وكتاب الدكتورة يمثـل جهودا جبارة بالنسبة للمستندات القيمة التى اوردها والمصـادر المهمـة التـى تعرض لذكرها الشيء الذى يسهل على البـاحث ويذلـل أمـامه كثيـرا مـن الصعوبات والحق يقال ٠

ولم يفت الكاتبة ان تثنى على الجهود التى يبذلها الموريتانيون من اجل بناء دولة عصرية ذات سيادة وطنية حقيقية وقد تفضلت علينا بكثير من عبـارات التشجيع والتملـق ٠٠

ولكن الكاتبة ديزيرى كانت تتمتع بروح استعمارية ما اظن ان اى فرنسى يتمتع بها ، فهى حاقدة ومتعصبة ضد الموريتانيين الى حد لم نعهده لدى غيرها حتى لدى أولئك الجنود الذين خاضوا المعارك وتكبدوا فيها الخسائر من اجل احتلال البلاد٠٠فهذه الكاتبة لم تستح،مع ان الكتاب مقدم له منطرفشخصية موريتانية ، وان الحكومة دفعت مساعدة مالية ، وانه موجه الى الموريتانيين الاحرار الذين قاوموا الاحتلال وكبدوا جنوده أفدح الخسائر ٠ فنجدها تطلق عليهم قطاع الطرق مرة والخونة مرة أخرى ، وتفتخر بان تقول سقط من جنودنا او استشهد من رجالنا كذا ٠٠ ومات من العدو كذا ، واذا استشهدت احدى الشخصيات الموريتانية تصب عليها عبارات اللعنة والشماتة كما فعلت بالنسبة للامير « بكار بن اسويد احمد » والسيد « وجاهه » و « محمد المأمون » و « العروسى بن بابا حمد » و « سيدى بن مولاى الزين » وغيرهم من الابطال الموريتانيين الذين سقطوا فيميدان الشرف فتقول الكاتبة اليوم بطلسحرفلان وترك عظامه فى ساحة المعركة وانتهى فلان شر نهاية حتى ان القارىء يخيل اليه اننا لا نزال فى ميدان القتال نحن وحضرة الدكتورة ديزيرى اما الذين لم ينزلوا الى الساحة من الشخصيات فهى اما ان تصفهم بالسحر والشعوذة اذا كانوا من رجال الدين مثل ما ذكرت فى جانب الشيخ ماء العينين واما ان تصفهم بالشره والارتزاق اذا كانوا من رجال السياسة والسلطة كما فعلت فى حق كل الامراء الموريتانيين ٠

ولا تكتفى الكاتبة بهذا النوع من التشنيع والسب واظهار البغضاء اثناء فترة الاحتلال والمعارك ولكنها بعد الاستقلال كذلك تحاول التشكيك فى مستقبل الجمهورية الاسلامية الموريتانية وتتكهن بان الوحدة الوطنية لا يمكن ان تتم الا بعد خمسين سنة من الاستقلال وتؤكد ان هذه المدة ايضا يسيرة٠

ومع ما يحتوى عليه هذا الكتاب من حقد وتعصب وتشويه للحقائق فجوانبه التاريخية ايضا ، وخصوصا فى الفترة المتقدمة على الاتصال بين الفرنسيين والموريتانيين مفعمة بالاغلاط الا انها تدخل فى جملة الاغلاط التى ارتكبها عن عمد او خطأ مؤرخو العالم العربى تجاه التاريخ الاسلامى ٠

3 ـ المؤرخون المعاصرون من العرب :

وبعد اعلان قانون الاطار فى موريتانيا ، وفى غمرة الدعوى المغربية ، اهتم اخواننا العرب بمعرفة الجمهورية الاسلامية الموريتانية وتناولها البعض منهم

بالكتابة فمنهم من افرد لها كتابا خاصا كما فعل المرحوم « يوسف مقلد » في كتابيه « موريتانيا الحديثة » و شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون » و «يونس بحرى » في « جمهورية موريتانيا الاسلامية » وغيرهما ٠٠ ومن المؤرخين مـن تحدث عنها او ذكر اشياء عن ماضيها التاريخي ضمن مجموعة من البلدان او في موسوعة تاريخية كما فعل الدكتور « حسن ابراهيم » و « الدكتور عبد الرحمان زكي » وكما في « دائرة المعارف الاسلامية » ٠

4 ـ ما كتبه الموريتانيـون :

الى حد الآن لا نستطيع القول بانمواطناموريتانيا قد كتب فيما مضيتاريخا يمكن ان يعتمد عليه كمرجع عام للتاريخ الموريتاني ، وكل ما كتبه الموريتانيون عبارة ، الى حد الآن ـ إما عن رحلات كرحلة « الطالب احمد بن طوير الجنـة الوداني » و « محمد يحي بن اهل ابو الولاتي » وقيمتهما التاريخية لا تعد شيئا كبيرا ، او مؤلفات في الانساب « كعمود النسب لاحمد البدوى » و « الغلاويـه لسيدى محمد بن الشيخ سيد المختار » و « الحسـوة البيـانية في الانسـاب الحسانية » و « نبذة في الانساب للشيخ احمد بن سليمان » و « نبذة اخرى » لسيد محمد حبت ، او تراجم للفقهاء او الادباء ككتاب « فتح الشكور » للبارتيلي الولاتي و « الوسيط في تراجم ادباء شنقيط » لاحمد بـن الاميـن العلـوى ، والنوع الرابع والاخير هي الكتابات التي تتعلق بتدوين الاحداث او نبذة تكتب عن حادثة ما ، والاول مثل ما كان يفعله اهل تشيت واهل دبانكو ، وكان مثل ذلك في تكانت على عهد سيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم فكـان مثـلا امـام المسجد يحتفظ بدفتر يسجل فيه اهم الاحداث التي تقع ويصل اليه خبرهـا ، واما ما كتب عن قصة بعينها فمثله ما كتبه العلامة محمد اليدالي عـن حـرب شربب وشيم الزوايا في عهده ٠

ورجال السلف معذورون على ما اعتقد ، لان رسائل التاليف كانت عسيرة للغاية في زمنهم والمراجع لا يمكن الحصول على الكفاية منها والحالة الاجتماعية للبلاد لا تشجع على وضع كتاب شامل عن تاريخها ٠

صدى الفكر

بمناسبة ميلاد الرابطة الموريتانية للآداب

شعر : أحمد بن عبد القادر

بين خفق الرؤى وذوب الخيال   واقتحام المنى عيون المحال
والاغانى المجنحات سكارى   سابحات فى مركب الآمال
نهض الوتر واليراع وقالا   كلمات بيض الحروف الصقال :
هل لهذا الوجود معنى اذا لم   يتفهم هويتى ومجالى
وأناشيد مزهرى تتغذى   من صدى انتى وفرحة بالى

* * *

كنت حلما معللا بالامانى   هامسات تجوب درب الكلال
تارة أبصر الحياة وأخرى   ألبس الصمت فى ضمير الليالى
وأنا اليوم صرخة تركب الريح   جوادا تعلو متون الجبال
وأنا اليوم مشعل عبقرى   يزرع النور فى جبين الزوال
وأنا اليوم فتية صاحبوا الفن   ونالوا من وحيه كل غال
ورحيق الجمال بين يديهم   مشرب للنفوس صافى الزلال
يتعاطون برده وشذاه   فى كؤوس ظلالها كاللآلى
نحتوها من موكب قمرى   فى سماء الفنون صعب المنال
يتجلى فى الشعر جدول سحر   ضفتاه من روعة وجلال
قزحى الانفاس يحمل فيضا   أبديا يهتز كالشلال
وتراه العيون رسما ونقشا   نمنمته يد البها والكمال
مثلما يبدع السحاب إذا ما   عانق الارض بعد قطع الوصال
بالندى والغصون تهتز هونا   وحلى الورد والضيا والظلال
هللى موريتان ما ذاك الا   ومضة من سراجك المتلالى
هللى يا بلاد ما نحن الا   قطرة من معينك السلسال
أبشرى صفقى لوثبة نبع   ظل يسقى مواكب الاجيال
حاول الغرب حبسه ذات يوم   عن مجاريه عبر هذى الرمال

وانبرى يمضغ السدود ويجرى   لا يبـالى بشـأنهـا لا يبـالى
وتسـامى أصـالة وشمـوخـا   فى رحاب الخلود ثـر النـوال
نهضة ترفع المعـارف جسـرا   ذهبيـا يـرقى بهـا للمعـالى
فكرها عزمهـا صواعـق نـور   تتصـدى للمسـخ والاذلال
وانتقـام من الجمـود وضـرب   لنـوايـا المستعمـر المحتـال

* * *

فتعالى أقلامنا نسبـر العصـر   ودنـيـا الاوان دنيـا المقـال
ريشـة الفـن بلسـم وسـلاح   ودليل يضـىء وعـى الرجـال
انهـا عـالم الحقـائـق يحيـا   بين خفق الرؤى وذوب الخيال

ا٠ ب٠ ع٠

قصة قصيرة

الموت البطيء...

بقلم: عمر طاهر هاشم

كان الليل قد اسدل بساطه الاسود على هذه الاكواخ المتواضعة وكانت العاصفة تصفر وتزمجر في ارجائها .. تكاد تقتلعها .. وكانت السماء ترق لهذه الاكواخ المسكينة ، فتتجهم وتكفهر ، وترسل دمعتها ـ رأفة ورحمة بهذه الاكواخ وساكنيها .

كانت الكواكب تلبس سواد الغيوم الحالكة المتراكمة حدادا عليها ، وكان الفضاء بحرا دامسا ، من شدة ما نسجه الظلام من خيوط داجية يقصر فيها قاب العين ، وتتيه فيها اشعة النظر .. حتى عن نفسها : يخيل الى الناظر أن السموات والارض ما زالتا رتقا .

ضوء مصباح فاتر متواضع ، يبدو تارة ويختفي اخرى .. كانه يهمس في اذن الظلام ، ليتخلى عن اية زاوية من هذا الكوخ الحندسي .. ولكن الظلام لا يتجاوب مع ذلك الهمس .. يتحداه في كبرياء ساخرا ، ساكبا فيه ظلاما من ظلامه .. موحيا الى العاصفة الهوجاء باقتلاعه وطرحه خارج عوالم الدنيا .

صوت ضعيف ينبعث من اعماق كوخ متأرجح تحت وطأة العاصفة ـ يا الهي ! انت العالم وحدك ، بضعفنا وحاجتنا الى ذلك الرجل المسكين ، الذي ضحى بكل حياته في سبيلنا .. متحديا كل العقبات .. يحمل مخلاته صباحا ، ويظل يجول هنا وهناك .. في الساحات العامة .. امام الحوانيت والفنادق والمصارف .. يهتف بكلمته المعبرة عن المآسي والحرمان « الصدقة » .. يريد من اصحاب الاماكن والمارة اهداء « أوقية » .. لقمة .. اى شيء يقوم به أود حياتنا المنهارة المتهدمة .. غير مبال بما يهدى اليه من شتائم .. ياالهي !.. لقد تأخر عنا الليلة ولا ندرى ما فعلت به يد الزمان .. يا الهي !!

ينبعث صوت آخر اضعف وانحل من الاول :

ــ أمي ‧‧ مريـم

ــ نعم ‧‧ يا بنتي زينب ‧

ــ لماذا تأخر والدي الداه الى حد الساعة ، وهل تدرين اين توجه هذا المساء؟!

ــ استودعته الله ‧‧ انه ذهب بعد الظهر يبحث عن « الصدقـات » ولكنـه تاخر لسبب ما ‧‧ ارجو ان يكون خيرا

ــ انى ليحزننى مصيرنا ان فجعنا الدهر فى الوالد الداه ‧

ــ صه ‧‧ لا تنطقى ‧‧ لا تنطقى ‧‧ ان البلاء موكل بالمنطق ‧‧ انه سيعود سالما ‧

ــ اماه ! ان حضر الداه ولم يحضر لنا طعاما فماذا سنتعشى الليلة ؟؟!

ــ ان الله يا بنيتي يرعانا ويرحمنا ‧‧ وسيسوق الينا رزقنا ‧

ــ لا أعتقد ! فنحن منذ اكثر من اسبوع لم نجد ما يسد رمقنـا ‧‧ وان ذا لدليل على ان رزقنا قد نفد من الارض ‧‧!؟

ــ صه ‧‧ يا يائسة ‧‧ صه يا ضعيفة اليقين ‧‧ اللهم عفـوك ‧ انفعلـت البنت اليائسة زينب من ذلك ‧‧ وتجافت عن الوالدة مريم ، الى زاوية اخرى من الكوخ المظلم ، لتجعل منها قبرا لها ولاخواتها السبعة ‧

تخفت مريم صوتها ‧‧ تتمتم :

ــ ولكن ‧‧ لا ملام عليك ‧‧ فانت ترعرعت فى الفقر ‧‧ والجوع ، حتى بلغت الاشد ‧‧ الجوع ‧‧ انه مضخة اليأس ، ومهده ، وجسره الذى يعبر عليه الى قلوب البائسين ، ولكن اللوم ، كل اللوم ‧‧ هو على هؤلاء الذين تركوك تجوعين ‧‧ قرب اطعمتهم الشهية ‧‧ الذين تركوك بدون مـأوى ‧‧ قـرب قصورهم الشامخة ‧‧ الذين تركوك معدمة ‧‧ قرب دراهمهم الوافرة ، ثم رفعت يديها الى السماء :

ــ اللهم انى بريئة مما تقترفه هذه البنت الضعيفة الرجاء اليك من سـوء الظن بك ‧‧ يا إلهى !!

اللهم ان المسألة تقع على كواهل اولائك الاثرياء ٠٠ الذين تركوها فاغرة فاها ٠٠ لا تجد كسرة خبز ٠ ولا كوب ماء قراح ٠٠ يا رب !! لكم أطعموا المواشى ، وبقربهم أناس يموتون جوعا ٠

قالت ذلك ولفظت انفاسها الاخيرة ٠

ساد الهدوء برهة ٠٠ لا حراك ٠٠ لا تنفس داخل الكوخ ٠٠ حتى بدأ الصباح يمسح عن وجهه سواد الظلام ٠ دخل العجوز اللغوب « الداه » وهو صفر الكفين ٠٠ فكانت الفاجعة .. رأى بين يديه ما اوقف دقات قلبه ٠٠ وامسك جريان الدم فى عروقه ٠٠ منظر رهيب ٠٠ هذه نهاية الفقراء .. هذه نهاية المعذبين فى الارض .. هذا مصيرهم فى هذه الدنيا القاسية : بناته الثمانية ، وأمهم ، صرعى ممددات على بقية حصير من سعف النخيل ٠٠ لا حراك بهذه ٠٠ ليست عليهن من بصمات الحياة ، الا بسمات جاثمة على الشفاه الدكناء ٠٠ يصفعها الغبار ٠

قال بصوت خفى ٠٠ تخنقه حشرجة الموت : انا لله وانا اليه راجعون ، ثم حدق فى اعلى الكوخ ٠

ـ كنت يا كوخ مأوانا فى الحياة ، واليوم اصبحت مثوانا فى الممات ،، فيالك من صديق وفى ٠٠ ليت الذين فى هذه الحياة كانوا مثلك ٠٠ أوفياء ..

كانت آخر كلمة قالها الشيخ « الداه » ٠٠ وساد الصمت الابدى ذلك الكوخ الوفى ٠

بعض ملامح الوجه التاريخي والثقافي لموريتانيا

بقلم : المختار بن حامد

ان تاريخ موريتانيا المدون هو تاريخ الاسلام فيها . فما هو معروف عنها – حتى الان – يبدأ بدخول الاسلام اليها . أما فيما قبل ذلك فاننا لا نكاد نعرف عنها شيئا وخصوصا عن تاريخها السياسي .

واذا كنا سوف نتحدث عن تاريخها فاننا نبدأ من دخول الاسلام وبدخول الاسلام نفسه على انه يجب علينا – أولا – أن نلقى نظرة سريعة على الحالة العامة للمنطقة قبيل دخول الاسلام اليها .

من الواضح طبعا ان هذه المنطقة لم تكن قد أخذت بعد في ذلك الوقت اسمها الحالي ولا وحدتها الجغرافية القائمة الان ، ان منطقة موريتانيا الحالية كانت – وقتها – منقسمة ، فالمنطقة الجنوبية او منطقة نهر السينغال كانت تابعة لامبراطورية « غانا » أما المنطقة الشمالية – الشرقية وكان اسمها صحراء « الملثمين » فان حدودها الجغرافية كانت أوسع بكثير مما هي الان فقد كانت تمتد شمالا حتى صحراء وادي الذهب (تيرس الغربية) وتمتد شرقا حتى صحراء مالى شمال تينبكتو .

السكـــان :

وكانت تعيش في هذه المنطقة في ذلك العهد عدة قبائل اهمها قبائل « كدالة » – بكاف معقودة – ولمتونة ومسوفة وكانت كدالة تعيش في غرب الصحراء (على شاطىء المحيط) تليها من الشرق لمتونة ثم مسوفة .

وهذه القبائل الثلاث تؤلف جزءا من شعب صنهاجة الملثمين .

عـروبة صنهـاجة :

ذهب أغلب المؤرخين والنسابة العرب الى أن صنهاجة عـرب قحطانيـون حميريون وقالوا انهم نزحوا من اليمن في وقت مبكر ٠

ومن الذين جزموا بعروبة صنهاجة : ابن سلام (ت 224 هـ) وابن الكلبي (ت 254 هـ) والزبير بن بكار (ت 256 هـ) والهمداني (ت 334 هـ) والجرجاني (ت 467 هـ) والسمعاني (ت 562 هـ) وابن الاثيـر (ت 630 هـ) والطبـرى (ت 310 هـ) وابن خلكـان (ت 681 هـ) وابن جـزى الكلبـي (ت 757 هـ) والفيروزبادى (ت 816 هـ) ولسان الدين بن الخطيب (ت 775 هـ) واليعقوبي (ق : 4 هـ) والسلطان الاشرف عمر بـن يـوسف بـن رسـول (ت 666 هـ) وصاحب الحلل الموشيـة (ق : 7 هـ) والرشـاطى (ت 542 هـ) وعبد الغنـي الاشبيلي (ت ؟) وعبد الحق المالكي (ت ؟) ٠

وقد اوردت بعض المصادر العربية سلسلة لنسب صنهاجة تنتهي الى الفرع الحميرى من القحطانيين ٠ نقلها عباس بن ابراهيم المراكشي (ت 1378هـ) عن كتاب « ابتهاج القلوب » قال : « صنهاجة من ولد صنهاج بن عامل بن زعزاع بن تينمل بن سعدور بن مزلان بن مسير بن نيوين مكسليت بن ديقـوس بـن جاجال بن سبأ الاصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمر بن قيس بن معاوية بن جشم بن الملك ميدان بن الملك قطن بن الملك عريب بن الملك زهيـر بن الملك ايم بن الملك اليسع بن الملك عبد شمس بن الملك وائل بن الملك الغوث بن الملك حمير ٠ الخ ٠ كما لم يفت الشعراء ان سجلوا عروبة صنهاجة فهذا الفقيه الكاتب أبو محمد بن حامد يقول في الامير يوسف بن تاشفين وبنيه :

ملـك لـه شـرف العلـى مـن حميـر ‏ وان انتمـوا صنهـاجـة فهـم هـم
لمـا حـووا احـراز كـل فضيلـة ‏ غلـب الحيـاء عليهـم فتلثمـوا

على ان عددا آخر من النسابين والمؤرخين رفضوا عروبة صنهاجة وقالـوا انهم بطن من بطون البربر ومن هؤلاء ابن حزم الاندلسـي (ت 456 هـ) وابـن خلدون (ت 808 هـ) وأغلب نسابة البربر ومؤرخيهم ٠

وطـن صنهـاجة :

كان شعب صنهاجة يعيش في هذه المنطقة منذ عصور قديمة وكانت الرقعة الجغرافية للشعب الصنهاجي تشمل معظم الصحراء الكبرى وقد قدرت بعض المراجع مساحة الرقعة بمسيرة شهرين في مثلها ٠

حياة الصنهاجيين :

وكانت حياة صنهاجة فى هذا الوقت حياة بداوة كاملة وترحال مستمر فى طلب الكلا لمواشيهم التى كانت أساس حياتهم الاقتصادية ، يشربون ألبانها ويأكلون لحومها ، ويركبون ظهورها ، ويلبسون أصوافها ، وجلودها ، ويقاتلون على نجبها وخيلها ويتخذون منها أكنة وكان من أهم أجزاء اللباس « اللثام » الذى سموا به وقد كانوا يتلثمون وهم أطفال وينشؤون على ذلك ويعتبرون الفم عورة تستحق الستر ولا يعرف الرجل منهم الا اذا انتقب واذا قتل منهم رجل وزال قناعه لم يعرف من هو حتى يرد اليه قناعه . وأكثر قتالهم رجالة صفوفا بأيدى الصف الاول القنا الطوال وبأيدى الثانى المزاريق ولهم رجل قدموه أمام الراية يقفون ما وقفت منتصبة وان أمالها جلسوا فكانوا أثبت من الهضاب ومن فر أمامهم لم يتبعوه ولا يعرفون الهزيمة وهم يقتلون الكلاب .

وأما بالنسبة لحياتهم الدينية فانهم كانوا مجوسيين .

هكذا تقريبا كانت الصورة العامة فى الصحراء فى مطلع القرن الهجرى الثانى . وفى هذه الاثناء كانت حدود الصحراء الشمالية ، تشهد تطورات جديدة كان لا بد ان تفرض نفسها على الصحراء . كانت موجات الفتح الاسلامى قد أخضعت شمال افريقيا ، منذ نهاية القرن الهجرى الاول ، وبات من الطبيعى بعدها أن يمتد الفتح جنوبا باتجاه الصحراء بعد ان امتد شمالا حتى الاندلس فى خلافة هشام بن عبد الملك .

الفتح الاسلامى :

وهكذا دخلت طلائع الفتح الاسلامى الصحراء سنة 116 هـ أو فى التى تليها يتقدمها حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى وابنه عبد الرحمن وكان ذلك على عهد ولاية عبد الله بن الحبحاب .

لعله مما يفيد ان عبد الرحمن بن حبيب وصل الى موريتانيا وأنه فجر مياها على الطريق بين وادى درعة (فى المغرب) وبين أودغست وغانا (فى موريتانيا) وفى ذكر البكرى لمراحل هذه الطريق سمى (وران) و (امطليش) (وانزمين) الذى يظن أنه زير وانزمران من طرق جبل آدرار ، ووصف مجابة رمل ينطبق وصفه لها على مقطير وهذه معروفة فى الولاية السابعة .

قال ابن خلدون :

« ولم يزالوا يعنى الملثمين مستقرين بتلك المجالات حتى كان اسلامهم بعد فتح الاندلس ثم قال : كان هؤلاء الملثمون فى صحاريهم كما قلناه وكانوا على

دين المجوسية الى أن ظهر فيهم الاسلام لعهد المائة الثالثة هكـذا فى النسـخ المطبوعة ولعله تصحيف فيكون الصواب فى المائة الثانية لقوله السابق كان اسلامهم بعد فتح الاندلس ومعلوم ان فتح الاندلس كان فى آخر القرن الاول الهجرى وقد ذكر ابن عبد الحكم فى حوادث سنة116هـ أن عبيد الله بن الحبحاب والى افريقية لذلك العهد أغزى حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى الى السوس وارض السودان فظفر بهم ظفرا لم ير مثله وأصاب ما شاء من ذهب وكان مما أصاب جارية أو جاريتين من جنس تسمية البربر (اجان) ليس لكل واحدة منهما الا ثدى واحدة ٠ ومثله فى تاريخ افريقية والمغرب لابى اسحـاق الرقيق القيروانى المتوفى سنة 417 هـ ٠

وفى تاريخ الموصل لابى زكرياء يزيد بن محمد الازدى المتوفى حوالى 334 هـ ما نصـه :

« حدثت عن خليفة بن خياط قال كتب هشام بن عبد الملك الى عبيد الله بن الحبحاب وهو واليه على مصر بولاية افريقية ٠ وفيها اغـزى عبـد اللـه بـن الحبحاب عبد الرحمن بن حبيب السوس وارض السودان فظهر وأصاب ذهبـا كثيرا » ٠ انتهى ٠

على ان الفتوح الاسلامية تواصلت بعد ذلك حتى وصلت الـى مصب النهـر السنغالى ففى مختصر كتاب فتوح البلدان البلاذرى ما نصه :

« قال المشترى بن الاسود : غزوت بلاد انبية من السوس الاقصـى فرأيـت بينه وبين البحر الاجاج كثيبا من الرمل يخرج النيل من تحته ٠ وبلاد أنبية من السوس الاقصى على مسيرة سبعين مرحلة فى برارى ومفاوز ٠ » انتهى ٠

بعد هذه الفتوح أصبحت دولة صنهاجة اسلامية (*) وكان منها ملوك جاهدوا السودان وأدخلوا بعضهم فى الاسلام واقتضوا المغارم من بعض وكانت الرئاسة

(*) كانت هذه الدولة قبل دولة المرابطين التى كان اول ملوكهـا يحيـى بـن ابراهيم الكدالى ثم يحيى بن عمير اللمتونى الذى قتله كدالة سنة 448 هـ تاشفين ورجع الى الصحراء مجاهدا حتى استشهد سنة 480 هـ فى جهـاد فخلفه أخوه أبو بكر الذى فتح جنوب المغرب وفوض أمره الى يوسف بن السودان بعد أن فتح من بلادهم تسعين مرحلة وذلك بعد أن تنازل عـن المغرب لابن عمه يوسف بن تاشفين الذى ملك المغرب كله وغرب الجزائر والاندلس الاسلامية وتوفى سنة 500 هـ وخلفه ابنه على الذى ثـار عليـه محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين التى أطاحت بمملكة المرابطين ٠

للمتونة فكان من ملوكهم تلاكاكين وتيولوتان المتوفى سنة 222 هـ ٠ والاثير بن فطى بن تيولوتان توفى سنة 287 هـ وتميم بن الاثير اغتاله زعماء صنهاجة سنة 306 هـ وتنبروتان كان حيا فى العقد الخامس من القرن الرابع هـ ٠ وأبو عبد الله محمد بن تيفاوت استشهد فى جهاد السودان وكان الاسلام فى مدة هؤلاء تنقصه الثقافة حتى ولى يحيى بن ابراهيم الكدالى فحج وجاء بعبد الله بن ياسين الجزولى ٠٠ فكان معلما ومربيا مدة يحيى بن ابراهيم ويحيى بن عمر وصدرا من ولاية أبى بكر بن عمر ، ولما تنازل هذا الاخير لابن عمه يوسف بن تاشفين عن المغرب الاقصى بعد ان أخضع بعضه رجع أبو بكر الى الصحراء واستصحب معه من اغمات وريكه الامام أبا بكر محمد بن الحسن الحضرمى واستصحب أيضا ابراهيم الاموى معلما للفقه وقاضيا فى مجلس الامير وهو جد قبيلة المدلش الموجودين اليوم فى دائرة الترارزة فهؤلاء الثلاثة أصل انتشار العلوم الدينية فى قبائل موريتانيا لذلك العهد ٠

ثم جاء الشريف عبد المؤمن مؤسس قرية تشيت وجد شرفائها المعروفين ومعه الحاج عثمان جد بعض بطون أيدو الحاج وأحد مؤسسى قرية وادان وكانا قد قرآ على القاضى عياض المتوفى فى مراكش سنة 544 هـ (1149 م) وكانا يسكنان (اغمات) فانتشر عنهما العلم واتسع نطاقه قرونا عديدة فى القريتين وكان قبل ذلك قاصرا على علوم الشرع دون آلاتها ومتماتها ٠ وكذلك قدم على ولاته يحيى الكامل جد قبيلة المحاجيب المعروفة فانتشر على يده علم كثير فى تلك النواحى ٠ وكان العلم فى موريتانيا دائما تزداد ثروته بواسطة سفر الحجاج والتجار الذين كانوا يطلعون على افريقية الشمالية ومصر وغيرها ومازالت الى اليوم تنتشر التعاليم الاسلامية والثقافية العربية فى جاراتها السوداء العامرة بالمساجد والمدارس وحلق الذكر والتى انتجت علماء وصالحين وحجاجا كثيرين من تكارير وولف وغيرهم من السودان ٠

والعلوم التى تدرس فى موريتانيا هى : بالدرجة الاولى : القرآن ورسمه وضبطه وتجويده ، والحديث ومصطلحه ، والفقه والتصوف والسيرة وغزوات الرسول واصحابه وفتوحاتهم وانسابهم ، وبالدرجة الثانية : اللغة ، والنحو وعلوم البلاغة والعروض وانساب العرب وايامهم وبالدرجة الثالثة : المنطق والتاريخ العام والجغرافية والحساب العدد ، وعلم الافلاك والهندسة العلمية . ولعلماء موريتانيا فى جميع هذه الفنون مؤلفات منثورة أو منظومة بلغت ثلاثة آلاف فاكثر بين مطول وموجز ٠

الأقسام العنصرية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الموريتاني الحالي :

ينقسم سكان موريتانيا الى بيض يمثلون أربعة أخماس السكان ، وسود يمثلون الخمس تقريبا وينقسم البيض الموريتانيون من حيث الاصل والنسب الى ثلاث طبقات : طبقة قديمة منحدرة من المرابطين من صنهاجة وطبقة منحدرة من الافراد القادمين من بلاد الاسلام ، مجاهدين أزمان فتوح المرابطين ، أو مهاجرين فى أزمنة متفاوتة ، ومن هذه الطبقة من ينتسب الى الانصار ، او الى شتى بطون قريش ، من فهريين ، وبكريين ، وأمويين ، وهاشميين ، وطبقة منحدرة من بنى حسان من عرب المعقل الذين دخلوا هذه البلاد فى آخر القرن الثامن الهجرى فغلبوا على أهلها وضربوا المغرم على جمهور منهم يسمى باللحمة ٠

وكما لا يستبعد انتساب صنهاجة الى حمير لا يستبعد انتساب بعض الموريتانيين الى العرب العدنانيين او الى الانصار ، لان الفاتحين الاولين قد يتركون منهم حامية وفى كلام البكرى الذى نقلناه عنه فوق ان ببلاد غانة قوما يسمون بالهنيهين من ذرية الجيش الذى كان بنو أمية أنفذوه الى غانة فى صدر الاسلام ، وانهم على دين أهل غانة ، وان بسالا أيضا قوما منهم يعرفون بالفامان فاذا كان بعض هذا الجيش اندمج فى السودان ، فاندماج آخرين فى صنهاجة معقول ، ومن المعقول ايضا ان يهاجر احاد من العرب اخرون لامور اقتصادية او دينية ، فقد حمل الامير ابو بكر بن عمر معه الامام الحضرمى حسبما فى التشوف وغيره ٠ وفى الحكايات الشائعة أنه حمل معه آخرين هم أجداد بعض القبائل المحلية ٠ وقد ذكر الاستاذ محمد المختار السويسى فى كتابه ايليغ قديما وحديثا جماعة فى السوس ، ذرارى أبى أيوب الانصارى وعكاشة بن محصن الصحابى الاسدى ، وأبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، ويزيد بن معاوية ، والعباس بن عبد المطلب ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، قال وكثيرين من غيرهم من ابناء العرب الذين لا يزال أحفادهم يتباهون بالنسبة العربية التى ينتسبون لها ٠٠ وفى صحراء سوس تتموج القبائل العربية من بنى هلال وغيرهم لا يزالون يحافظون على انسابهم وعلى لغتهم وذكر ان غالب هذه الاسر العربية تشلحت حتى نسيت لغتها وان لم تنس غيرتها العربية الدينية ٠ ومعلوم ان طرق الاتصال مفتوحة بين الصحراء والمغرب من عهد بعيد وان كثيرا من اهل الصحراء قادمون عليها من المغرب اه ٠ وذكر البكرى أو أودغست كان يسكنها العرب مع صنهاجة ٠

من هذه الطبقات المذكورة تكونت ثلاثة اقسام اجتماعية :

قسم ذو شوكة وسلاح يحتكرون لانفسهم اسم العرب وهم بنو حسان المذكورين ومن سار بسيرتهم من أحفاد المرابطين او غيرهم ٠

وقسم يقومون بالخطط الدينية من تعلم وتعليم وفتوى وهم الزوايا ٠

وقسم غارمون يقومون بالصنائع والحرف ووجوه المعاش وهم اللحمة تشبيها بلحمة الثوب وهي ما يمد طولا وخلافها السدى وهو ما ينسج عرضا لانهم كانوا يعطون الزكاة والاعانات للمجاهدين والمعلمين وكان الجهاد والتعليم اسداء والاعانة لحمة له ٠

ويطلق اسم الزوايا على من سار بسيرتهم ، ولو كان من عنصر حساني كما يطلق اسم اللحمة على كل غارم ولو كان زاويا أو عربيا وكما يطلق اسم الحساني على من سار بسيرتهم من أى عنصر كان ويسمى الداخل فى الزوايا من حسان او من اللحمة طالبا أو تائبا أو مهاجرا ٠ يضاف الى هذه الاقسام الثلاثة قسم يحترفون فن الموسيقى ويسمون بالشعار وهم منحازون الى ذوى الشوكة فى الغالب ، وقسم يحترفون بالحدادة والنجارة ، وتحترف نساؤهم بالخرازة ، والصباغة ، وهم الصناع او المعلمون ٠ وهم منحازون الى الزوايا غالبا وعليهم مغرم للعرب ٠

وتحت جميع هذه الاقسام عبيدهم ومواليهم المعتقون ، وأصلهم سودان استرقوا منذ الفتح الاسلامى ، من هذه العناصر تكون سكان موريتانيا البيض٠ أقدمهم فيها أحفاد المرابطين من لمتونة وكدالة ومسوفة ٠ وغالب هؤلاء البيض رحل ، يعيشون من غلة الماشية ٠٠

وأما السودان فيمثلون خمس السكان تقريبا وهم خليط من السرغلات والتكارير ، والفلان ، وأقلية من الولف ٠ ومواطنهم شواطىء نهر السينغال ٠ وأغلبهم فلاحون الا الفلان فانهم رحل اهل بقر واللغة المحلية هى العربية الفصحى وهى لسان الدين والثقافة الشرعية والادبية فى جميع العناصر منذ الفتح لاسلامى ٠ وهناك لهجات أخرى محلية ٠

اللهجات المحلية :

1 ــ اللهجة الحسانية أكثرها عربى ظاهر وأقلها محرف ، وفيها الفاظ بربرية ، وتختلف عن العربية بكثرة اسكان المتحركات ويطرد ذلك فى الحرف الاخير من الكلمة ، وفى الحرف الذى يلى أداة التعريف ٠ فيقال فى الجمل : الجمل ــ بسكون الجيم ــ وتشديدها وبسكون اللام الاخيرة ، وتحذف هاء

التأنيث وبقاء الفتحة قبلها علامة للتأنيث ، فتقول السورة : السور بحذف هاء التأنيث الا انها ترجع عند الاضافة فيقال فى قرأت سورة الفاتحة : أكريت سورة الفاتحة باسكان الحرف قبل هاء التأنيث كما يبدلون القاف بجيم مصرية ٠

2 ـ اللهجة الصنهاجية وتقرب من اللهجة الشلحية المستعملة فى السوس (جنوب المغرب) وكانت اللسان الوحيد فيما قبل دخول بنى حسان وقد طغت عليها الحسانية تدريجيا فلا يتكلم بها اليوم الا نحو عشرة آلاف نسمة كلهم فى دائرة الترارزة ٠ كما ادخلت فى كل من اللهجتين الفاظ من الاخرى ، وكما ادخلت فى كل منهما الفاظ من اللغة الفرنسية منذ الاحتكاك بفرنسا ٠

3 ـ لهجة التكرور ويتكلم بها التكارير والفلان ٠

4 ـ لهجة السرغلية وهى لسان السرغلات ٠

5 ـ الولفية لسان شعب الولف ٠

وفى كل هذه اللهجات جميع العناصر التى تتركب منها العربية ٠ ففيها الاسم والفعل والحرف ، وفيها النظم ، والنثر ، والحقيقة ، والمجاز ، والافراد والجمع وفى الصنهاجية التذكير والتانيث وتاء التانيث فيها تكون فى أول الاسم والفعل ٠ وقد تكون فى آخر الاسم ايضا مثل تكمرت (الفرس) والمذكر يبتدئ غالبا بالهمزة نحو أذرى (النجم) والجمع غالبا بزيادة نون فى آخر المفرد نحو ذرن للنجوم ، تكمرن للافراس وفى الصنهاجية ايضا التعريف والتنكير واداة التعريف فيها هى أم كما فى لغة حمير ٠ وحروف المضارعة فيها هى حروف المضارعة فى نحو العربية وهذا مما يستأنس به لحميرية صنهاجة ٠

وكذلك يستعملون لفظة دو أو ايدو للمعنى الذى تستعمل فيه دو فى لغة حمير فيقولون ايدو عيش مثلا ٠

أما فى السرغلية فعلامة الجمع فى الكلمة المال آخرها ضم آخر المفرد نحو سيرى = شخص ، سيروه = أشخاص ٠ أما فى الكلمات المكسورة أو المفتوحة الحرف الاخير ، فتزداد على المفرد نون مضمومة نحو سن للفرس ، وسنو للافراس ٠

وعلامة الجمع فى الفلانية باء مفتوحة نحو فوتنك اى فوتى ، فوتنكوب أى فوتيون والكاف فى الفلانية بمنزلة ياء النسب فى العربية ٠

وعلامة الجمع فى الولوفية همزة مفتوحة فياء ساكنة قبل المفرد كور للرجل آى للرجال وعلامة التثنية مفقودة فى غير العربية ٠

أما قاعدة تصريف الفعل مع الضمائر المتصلة فيختلف بحسب الماضى والمضارع ، والمتكلم ، والمخاطب والغائب ٠

نشوة النصر

شعر : إسماعيل محمد عطية

نشوة النصر والتهاب المشاعر   ألهمانى الطموح عن كل شاعر
واعترتنى حمية الفخر حتى   قلت للكائنات هل من مفاخر ؟
يا سمات الاباء والعز إنا   قد ورثناك كابرا عن أكابر
نحن فتك وبطشة نحن بركان   على الناهب العدو الغادر
نحن لن نقبل الضيم مقاما   دأبنا العزم فى ركوب المخاطر
يا أيادى صهيون قد سمتمونا   كل سوء وكل كرب مباشر
وفتكتم وما رحمتم أنين العزل   الابرياء بين المقابر
واتخذتم لنا المجازر كيما   تطفئوا نور ثورة فى الضمائر
أى وربى لقد صبرنا .. صبرنا!   أيضاهى في الصبر من ليس صابرا؟
لقتنا خسائر منكم . اليوم   ذوقوا أضعاف تلك الخسائر
فوهات البنادق اليوم اجدى   من صراع يكون فوق المنابر
أين ديان قد اضلك حتى   لأضلتك يا ابنة الزور مائر
كنت رمت الخلود فينا فهل رمـ   ـت خلودا أمام زحف العساكر ؟
فارزحى تحت قصفنا سوف تدرين   على من منا تدور الدوائر

حب عبر الأسلاك !
ليالي الشتاء
بقلم : الأستاذ جحا

كان الاستاذ «جحا» فى محل عمله ، وبينما هو منهمك فى قراءة كتاب أدبى « البحث الادبى » يجلس بين الطلاب فى خيلاء وكبرياء ويتظاهر أمام طالبين من قسم «ب» العربى بأنه أرفع منهما مستوى ٠٠ وبقراءته لهذا الكتاب يبرهن ـ بصورة لا تقبل الجدل ـ على ذلك التفوق المفتعل الذى خلقته لحظة عابثة .. بينما هو كذلك يمثل دور الاستاذ الكبير صاحب القدم الراسخة فى الثقافات الانسانية عامة ، اذ دخل عليه عامل الهاتف متقطع الانفاس وهو يصيح :

ـ أستاذ جحا ! ٠٠ الهاتف يطلبك .. امرأة طلبتك أكثر من مرة واعتذرت لها بتغيبك مرات ، لكنها هذه المرة ، رفضت فى تصميم لا يلـيـن ، الا أن أبحث لها عنك ٠٠ تعال يا أخى أنقذنا !٠

هرع جحا الى مكان موزع الهاتف وهو فى دهشة عظيمـة من أمـر هـذه الـ «محترمة» التى طلبت جحا أكثر من مرة! بكل هذا الالحاح!٠٠ غريب!٠ لا بد أنها أخطأت الرقم أو الاسم ٠٠ طبعا لا يمكن أن تكون تطلبنى أنا بالذات !

ووصل الى مكان الهاتف ، وقبل أن يتكلم رفع بصره الى السمـاء ، فـى ابتهال ، « أللهم يا رب المرأة ، اكفنا شر المرأة فى نهاية السنـة الدولـيـة للمرأة ! » ٠٠ وعاوده بعض الاطمئنان لان الله ـ فى نظره ـ سيسانـده ٠ وأخوف ما يخافه جحا أن يختطف ٠٠ يعنى أن يكون طرفا فى « عملية حب » من ذلك النوع الشائع هذه الايام ٠٠ ومع ذلك فقد زاد من هدوئه كونه مـر أكثر من مرة بالمناطق ذات الخطورة المعروفة ، وهى المقاطعة الخامسة ـ فى بعض الاحيان يكون جحا وحده يستنشق ذلك النسيم الملوث !. وفى أحيان أخرى مع ثلة من زملائه ٠ ولما كانت عمليات الاختطاف تحدث اتفاقا بدون

مقدمات ، فقد كان يضطر فى الاغلب الاعم الى الرجوع الى المنزل وحده بعد أن تكون قد انتهت عمليات القرصنة هذه التى استهدفت زملاءه وينجو الاستاذ جحا ·· وهذا ما شجعه الآن على أن يتكلم بهدوء مع هذه « الانسانية » التى لا يعرفها · وهى قطعا لا تعرفه ، اذ لو كانت تعرفه لما طلبته ، لا بالهاتف ، ولا بغيره ·· فما تعرفت عليه فتاة فى أى يوم من الايام وأحبت أن تكون معه علاقة ··

ـ آلو ·· نعم · سيادتك من ؟.· فردت عليه :

ـ أريد الاستاذ جحا ··· نعم الاستاذ جحا هو ما أريد · فقال لها ليستوثق من أنها لم تخطىء الرقم أو الاسم تلك الاخطاء الشائعة التى تجلب دائما مالا يجب أن يجلب :

ـ سيادتك متأكدة ·· لم يحدث خطا فى الرقم أو الاسم ؟·

فأكدت له أنها تطلبه هو دون غيره وأنها تعرف الارقام التى تطلب وقليلا ما تخطىء ·· ثم أشفعت ذلك بجدول تقريبى يحوى : اسم جحا وعمره وسنه ووزنه ولونه ·· و ·· فندت عنه آهة لشدة فزعه وقال لها فى جزع ظاهر :

ـ لا حول ولا قوة الا بالله !· ومن أين لك علمى كل هذا ؟!·

وأخيرا وبعد أن أمن جحا على نفسه وعلم أنها «منى» حبيبة سى كمال تنفس الصعداء ·· وفتح لها صدره الضيق وكلمها بانشراح محاولا أن يظهر لها بمظهر لائق حتى لا تتهم زميله سى كمال باسفاف الذوق فى اختيار الاصدقاء وبعد دردشة قصيرة استخدمت فيها «منى» كل كلمة تعلمتها من الاستاذ كمال من مفردات «قاموس الطرائف» قالت :

ـ يا أستاذ جحا متى سيسافر صديقك ؟· فرد عليها ممازحا :

ـ لقد بدأ العد التنازلى لرحيل المسكين ·· ولكن « مكره أخاك » · فضحكت منى ضحكة عذبة رقيقة فيها خفر وحياء وحذر ومجاملة · و ·· ثم قالت فى عجلة :

ـ يا أستاذ أنت وحدك الذى أطمئن اليك · فبلغ تحياتى الى كمال وقل له إن المكان العادى مشغول الليلة فلنلتق فى (····) أسمعت ؟·

وبعد أن انتهى غرضها من المكالمة وأصبح من المستحسن أن تعود السماعة الى أحضان الهاتف ، استدركت منى وقالت :

ـ منا واحدة .. تحب أن تكلمك .

ولم تنتظر رأيه فى الموضوع وانما قدمت السماعة الى هذه الطالبة الجديدة .. وتكلم جحا بحذر شديد ... وباضطراب أشد ، فهو يخاف المرأة هذه الايام أكثر مما يخاف الرجل . ومع ذلك فقد كان الحديث تافهـا مثل أغلب هـذا النوع من المكالمات التى تحدث بين وقت وآخر عفو اللحظة .. انتهى الامـر دون موعد لقاء أو مغزالة بسيطة فقد كان جحا بخيلا بكلمات الحب ضنينا بها لا يفتح الجانب الذى يخصصه من نفسه كخزان لها الا اذا رأى الجمال ماثـلا أمام عينيه فى صورة متحركة تعبث بنفسه وتدوس كبرياءه .. عند ذلك يهلل جحا ويصلى ويتعبد فى محراب الحب .. أما أن يكون هو المطلوب فهذا ما يجعله يختفى ويهرب . انه على النقيض تماما من زميله «صيل» ذلك الشاب الذى يعتنق نظرية فى الحب تقول : « اذا لم تطاردك المرأة وتطلبك فى كل مكان فلا تجعلها تظن أنك تحس بوجودها .. أما جحا فيحب أن يعبد الجمال أكثر من أن يعبد هو ، لانه يؤمن عن اقتناع بأنه لا يستحق العبادة . وعلى ذلك فالتى تطلبه ـ وهى قليلة والحمد لله ـ يكرهها ، لا لانه لا يحب المرأة وانما يعرف أنها ما دامت تحبه هو فهى اذن لا تستحق الحب !!.. وطلب من « الطرف الثانى » أن يعيد اليه «منى» .. وقال لها إنه لا يرغب فى هذا النوع من المكالمات .. فاعتذرت له وشكرها . وأغلق السكة .

ورجع الى مكانه الذى كان يمثل فيه سابقا لكن الجمهور ذهب لان وقـت الانصراف قد حان فذهب جحا الى منزله .

وفى المنزل التقى بزميله سى كمال وحكى لـه كـل شـىء دون زيـادة أو نقصان .. بما فى ذلك تلك المكالمة التى أجرى مع الطرف الثانى ولم يسعه الا أن يعبر لصديقه عن اشمئزازه من تلك الكلمات على الـرغم ممن قالتهـا فضحك سى كمال وقال لجحا ساخرا :

ـ ومتى كنت يا أستاذ جحا تهرب من الحور العيـن ؟!.. ألست مثلنـا جميعا نطاردهن فى كل مكان ؟!.

فقال جحا بلهجة غير راضية :

ـ اننى يا سى كمال ، لا أخفيك عجزى عن هضم وجبات الحب التى تقدمها مطاعم مدينتنا .. انها أطباق غريبة لا أحبها . وهذا سر بيننا . فقال كمال مخففا عن جحا :

ومن قال لك إن هذا الطبق سيكون مثل جميع الاطباق ؛ لا داعى لليأس على كل حال ٠

فلم يجد عند جحا ما يدفعه للنقاش ، فما كان الاستاذ جحا بمهيا نفسيا لنقاش موضوع من هذا النوع ٠

وذهبا الى منزل الست أم العوالم ليبقى الاستاذ جحا هناك مثل الفرس التى يتركها صاحبها بالاصطبل مربوطة بلجامها حتى يرجع اليها ٠٠ وذهب كمال الى «منى» ٠٠ نفسه ٠ وكانت الثوانى والدقائق تمر بالاستاذ جحا وكأنها سنوات طوال لا تريد أن تنتهى ٠ فما كان المجلس بمحبب الى نفسه ولا الجالسين بمنسجمين معه ٠٠٠

وما كاد سى كمال يعود حتى أقبل عليه جحا طالبا النجدة بسرعة الانصراف ٠٠ ولم يعترض كمال لا سيما والبرد فى هذه الليلة أقوى من عادته السابقة ٠ والمكان غير مناسب لقضاء بقية سهرتهما ! فذهبا الى منزل جحا ٠ وفي الطريق دار الحديث بينهما حول زيارة كمال لمنى،فقال كمال إن منى طلبت منه أن يبلغ الاستاذ جحا مع تحياتها رسالة من الطرف الثانى ، يطلب فيها مكالمة جحا هاتفيا وربما اللقاء اذا أمكن ذلك ٠ وعلق سى كمال على ذلك باقتراح قال فيه :

ــ غدا فى الصباح أذهب واياك الى مكان عمل منى وهذا « الطرف الثانى » الذى أصبح حبك شغله الشاغل ٠٠ ما رأيك يا جحا ؟٠٠ انه اقتراح لا بأس به ؟. فقال جحا متبرما :

ــ الا هذا يا سى كمال !.. اننى لست مستعدا لزيارة هذا الطرف الثانى ولا لاشغل نفسه المحترمة ! بحبى ٠٠ ان حبى يا سى كمال لا يسمن ولا يغنى من جوع !. وما أنا بموافق على هذه الزيارة غير المناسبة ٠٠

وهدأت نفس جحا أياما وعاد الى مرحه وخفة دمه ، لانه ــ فى نظره ــ اتخذ قرارا هاما باغلاق ذلك الباب قبل أن « يتسع الشق على الراقع » !٠

وفى احدى الليالى الملاح والتى كان يقود فيها لجنة «الفكاهة» الاستاذ معلوف ، أعلن هذا الاخير للجميع أنه أحس بعلاقة نامية سماها حبا !٠٠

نشأت بين أستاذنا محامي الفرقة وفتاة تسمى « الطرف الثانى » وأضاف الملعون معلوف :

ـ ان الفرقة اذ تتمنى للزميل جحا حظا سعيدا فهى لا يغيب عنها أن تدعو الله لأسلاك الهاتف الكثيرة المتشابكة بالانتشار والطول والتمدد حتى تحتل جميع المقاطعات الحالية منها فى البلاد كمكافأة لها على الدور الذى لا يستهان به والذى لعبته فى هذا الحب الجديد . فقال كمال :

ـ والغريب فى الامر يا قوم إن هذا « الطرف الثانى » لم يعشق من جحانا الا صوته الذى يشبه الى حد بعيد أصوات كاسحات الرمال !... فقال معلوف

ـ انه الانحطاط الذوقى ! فى أسمى صوره !. ولكن مندور قال مخالفا هذا الرأى :

ـ لا غرابة فى هذا أبدا . فزميلنا والحمد لله بلبل صداح . « والاذن تعشق قبل العين أحيانا ».

وغضب جحا من هذه الضحكات التى تطلق بدون حرج من سيادته ، ولكنه خجل من المعارضة . فمعلوف فى هذه السهرات الضاحكة لا تجدى معارضته الا زيادة الطين بلة .. فقال مفتعلا الرضى :

ـ ان هذا رزقى أيها السادة جاءنى من غير تعب .. فلتشربوا نخب هـذا الحظ السعيد !.

وكانت ليلة سمر وانشراح لعب فيها معلوف دوره القيادى . وبات جحا ـ رغم أنفه ـ يضحك تارة ويبتسم أخرى ، ويمزح ثالثة . وهو صابر متجلد الى أن انتهت الجلسة وانفرط عقد السمار .. فأوعز الى زميله سى كمال وهما فى الطريق الى بيت جحا أنه مصر على بتر هذه العلاقة ما دام أمرها هينا مخافة أن يتسرب من خلالها المرض المعدى الى جسم الحب الموريتانى والمحبين وأضاف :

ـ اننى يا سى كمال أريد أن أبنى حبى ـ وهو فى الحقيقة لا يفكر فى بناء شىء ـ على أسس سليمة من بينها التفاهم والتعاطف والاخلاص والانسجام .. و .. الخ . من المقاييس الكلامية التى يعلم الله أنها لم يحدث أن طبقت ـ وربما لن تطبق مستقبلا ـ على واحدة من مئات « عمليات الحب » التى تنشأ اثر لقاء طائش .. وتقوم على اثر اتفاق مريض .. ثم تموت ـ ان عاجلا أو آجلا ـ بمفعول المرض الذى ينهك جسمها تدريجيا ..

وبات جحا ليلته لم ينم ـ ما بال هذه « الطرف الثانى » تطاردنى بخيالها الموحش حتى فى مجلس الحبيب مع أصدقائى وخلانى الاعزاء ٠٠ يجب على أن أتخلص منها بأى ثمن أو أن أرجعها على الاقل الى الصواب ٠٠٠ فمتى كان بمقدور أى انسان أن ينغص على جحا لهوه؟!٠لقد كنت أنا أنغص على الآخرين حينما يحلو لى ذلك !٠

وفكر فى الامر واطال الاخذ والرد ٠٠ وبدأت نفسه تهدأ من غضبها رويدا رويدا ، حتى أصبح أقرب الى الحياد منه الى معترك فى الخصام ٠

ما الذى ينقصنى لو ذهبت مع سى كمال الى منى باعتبارى مع صديقى فقط !.. فلن يغوص أحد الى نفسى ويكتشف ما فى أعماقى ٠٠ ومع ذلك أتصرف بحدين فى وقت واحد ٠ ماذا يضرنى لو أنها كانت من ذلك النوع الذى يسحر المتكلم معه والناظر اليه ٠٠ ذلك النوع الذى جمع عناصر الجمال فاتحدت فى تكوين أعضائه المتناسقة فى تحد ظاهر ؟!٠٠ ما الذى يحدث لو أننى ؟٠٠ ومع ذلك فلم يجد الشجاعة الكافية لاتخاذ خطوة حاسمة ٠

وأخوف ما يخافه جحا أن يكون فرضه صحيحا ، وتكون من ذلك النوع الخطير ٠ فهو يعلم جيدا أنه سوف يسقط عند الضربة الاولى ٠٠ وقد يفلت من يده زمام نفسه ويتصرف بعد ذلك مثل سى كمال فى مغامرته الماضية ٠٠ الا هذا ٠٠ ولكنه طرد الفكرة من نفسه عندما تذكر أنه فى بعض الاحيان ـ ولا يحدث ذلك الا نادرا ـ يتحدث الى واحدة من هذا النوع ويظل ممسكا بزمام هدوئه ورصانته المعتادة التى يفتعلها أمام الغرباء ٠٠ ومع ذلك فلو هرب هذا الهدوء وذلك التحكم اللذان يتمتع بهما فى أوقات صفائه النفسى ٠٠ لو هربا لا يعرف ماذا سيحدث لانه عاجز كل العجز عن اقتفاء أثرهما وارجاعهما الى نفسه المضطربة ٠

وأخيرا وبعد محاكمة تخاصم فيها « الاتهام » مع « الدفاع » واستعرض كل منهما عضلاته القانونية فى عالم الحب « المقنن ! » ٠٠ أخيرا وصل جحا الى قرار اطمأن اليه وعقد العزم على تنفيذه ٠٠ وبات بقية ليلته فى نوم لذيذ هادىء تتخلله أحلام ـ تمنى لو كانت فى اليقظة ـ أحلام جميلة ٠٠ لقاء مع الحبيبة وحب متأجج متبادل الخ ٠

وفى الصباح كان جحا أول المستيقظين ، وبعد نهاية وجبة الافطار التى كانت رمزية الى حد بعيد · انسل جحا وأخذ بيد زميله سى كمال داعيا اياه الى الذهاب الى منى و « الطرف الثانى » · ولشد ما كانت دهشة كمال عندما فوجىء بهذا التقلب الذى حدث فى رأس زميله · فضحك جحا تمهيدا للتقهقر النظامى الذى هو مقبل عليه لا محالة :

ـ اعذرنى يا سى كمال ·· أنا لا أكتمك شيئا ·· لم أجد من بأس فى أن أمر معك على منى وأرى ـ ولكن عن بعد ـ ذلك «الطرف الثانى» فان كان على ما أحب فأنا لست مجنونا حتى أرفض نعم الله على عباده الصالحين والا فأكون قد قمت بزيارة مجاملة لحبيبة صديقى !.. ما رأيك يا كمال !.

ـ أنت يا أستاذ جحا تعلم أن وجهات نظرنا متفقة حول الطريقة التى يجب أن تكون عليها العلاقة بين الرجل والمرأة ، ولا أعتقد أنك تعتزم الخروج عليها··والا أذيعك سرا يا عزيزى، اذا قلت لك إننى لم أفهم تهربك وخوفك من هذه السيدة ·· لم أجد له تعليلا يقبله عقلى · فقال جحا فرحا بانتصاره :

ـ اذن فأنت متفق معى على صواب هذا القرار الجديد؟· فقال كمال :

ـ بكل سرور · وأرحب جدا بأى شىء سوف يخفف عنك هذا الجفاف العاطفى الذى تعانى منه ·

لكن جحا لم يستمع لبقية الكلام لانه لاحظ وجود سيارة أجرة شاغرة ينظر اليه صاحبها !·· عجبا ! لقد كنا محظوظين ·· تاكسى !·· قال جحا ذلك فى فرحة عارمة ، وجاءتهما السيارة وذهبا فيها الى منى و ·· ذلك الطرف الثانى وهناك حدث بالتمام والكمال ما كان يخاف منه جحا !· فقد تلعثم حتى فى رد السلام عندما وجد نفسه أمامها تنظر اليه وتستطلع كل ذرة من جسمه المشوه من الخارج ·· كانت جميلة كما تصورها ولعلها المرة الاولى التى يصور فيها خيال جحا منظرا فيأتى كما صوره·فقضى وقتا وهو مأخوذ بهذا المنظر البديع·· هذه الخفة وذلك التناسق فى الاعضاء وتلك النغمة الحلوة ـ على الرغم من أنه لم يسمع الا ردها للسلام عليه ـ · ولما لم يتكلم رفعت وجهها عن بعض أوراق كانت تكتب فيها موضوعا لم يتمكن جحا لشدة اضطرابه من قراءة حرف واحد منه ـ ونظرت اليه فلم يسعه الا أن يخرج من المكتب يجر وراءه أذيال الخيبة المرة والحزن ·

ثم انسحب من المكتب وترك الباب مفتوحا ووقف منكسا وجهه الى الارض — بينما كان كمال وحبيبته ينزويان فى أحد أركان المكتب · وقضى هنـاك وقتا تمنى فيه آلاف المرات أن تبتلعه الارض ·· وأخيرا فتح الله وافترقـت منى عنه بسى كمال لكن جحا أحب أن يعرف ما اذا كانت حبيبته — والاضافة فى نظره تقـع بأدنى سبب — ستسأل منى عنه وكان ما توقـع · فقـالت : « الطرف الثانى » :

— أهذا المغيرى الذى كان يذكر ؟·· وضحكت وأشارت الى كمال · فقالت لها منى :

— لا ·· حذار أن تنظرى الى هناك ··· ولكن الى الخلف حيث حبيبك عبر الاسلاك .. ألا تعرفينه ؟

— خدعنى صوته ·· فرسمت له صورة رائعة فى خيالى ··· وياله من خيال مريض .

الاستاذ : جحا

ذكرى العبور

شعر : محمد خالد بن عبد اللطيف

أرقت لذكرى تزيل الكرى ويمنعها القرب أن تذكرا
لذكرى بأسماعنا حلوة على مثلها صائم افطرا
أتانا بها رمضان فما ألذ وأحلى وما أعطرا
وبالبشر وافت فمرحى لها فبالتبر قد حق أن تسطرا

★ ★ ★

عبور الكماة لمتن القناة بعزم الثبات ، وحزم العرى
تثير القتام ، تنير الظلام تسير الامام كأن لا ورا ...
غداة بدا نصرنا ظاهرا فاسفر كالصبح اذ أسفرا
وادبر جند العدى خائبا فأدبر كالليل اذ أدبرا
اذا كان اسد الشرى فى الورى فقومك والله أسد الشرى

★ ★ ★

هجمنا على ثكنات العدى هجوم على على خيبرا
وذا خبر مبتداه مضى بيوم النضير ووادى القرى
هجمنا عليهم ، فماذا ترى ؟ ترى ساقطا فى الثرى عفرا
كثاو ، وهاو على وجهه سجود المصلى اذا كبرا
وآخر فوق الثرى موقف يعد لمثواه تحت الثرى
وهذا أسير مضى أسره وذاك تحقق أن يؤسرا
وفى داخل القدس من أرضنا اناس يرون الردى السكرا
وما حرر الارض مثل الظبى تسال عليها نفوس الورى
ولا مثل للغم مزروعة لتنبت ورد الردى الاحمرا
ولا كالمدافع من ناصر اذا الخطب فى الحرب يوما عرا

مدارس الشعر الموريتاني القديم

بقلم : احمد بن عبد القادر

اذا القينا نظرة تاريخية على التراث الخصب الذى خلفته اقلام النهضة الادبية التى شهدتها بلادنا خلال القرون الثلاثة الماضية فسنجد امامنا مرتعا خصبا ودواوين مشتتة لا تقع تحت حصر ، تتناول اغراض الشعر الموريتاني القديم من مدح وهجاء ورثاء ونسيب وغزل ... الا ان المتفحص لهذا التراث ، سيصطدم ولاشك بمصاعب جمة فى سبيل تصنيفه وتفصيل مذاهبه ومدارسه . ولا غرابة فى ذلك فالبيئة الثقافية التى انبتت هذا التراث وترعرع فى احضانها لم تكن منسجمة فيما بينها بالقدر الكافى . فمثلا كان فقهاء الشرق الموريتانى (المدرسة الولاتية) يرون فى الشعر رجسا من عمل الشيطان وينهون عن الاهتمام بكتابته الا ما كان منه ذا طابع دينى بحت (مواعظ ، مدائح نبوية نظم قواعد علمية) وفى الشمال الموريتانى كان امحمد بن الطلبة ومن لف لفه يساجلون الشماخ بن ضرار واعشى قيس ، وقد حفزهم الى ذلك مدى شدة التشابه بين بيئة الشعر الجاهلى الذى تأثروا به والبيئة الموريتانية التى تربوا فيها ، فطغت مسحة مؤثرات الاولى على الثانية ، وجاء انتاج شعرائنا : جاهليا وان طبعته مسحة دينية اسلامية ، تقليديا وان غلفته بعض الاذواق والالوان والمسميات الموريتانية . وفى أرض القبلة تجمعت مختلف النزعات والمذاهب المتنوعة : فابن رازكة الاديب المطلع ورجل الثقافة الواسعة فى عصره ، عرض على شعره نغمة اندلسية حضرية لا لبس فيها ، لم يعكر صفوها الا اختلاف بيئته الاجتماعية عن بيئة الشعر الاندلسى الذى تأثر به ، خلافا لما وقع لمقلدى الشعر الجاهلى ، هذا الى جانب آخرين حاولوا شق طريق موريتانية أصيلة تستمد لحمتها وسداها من نفسية واذواق وحتى لغة الموريتانيين انفسهم (اللغة الدارجة) : وعلى رأس هؤلاء الشاعر والاديب الكبير محمد بن احمد يوره ـ ولو اضفنا الى هذا التنوع

والاختلاف والتباين قلة المجهودات ، حتى الان ، فى مجال دراسة هذا التراث لادركنا بالفعل صعوبة تمييز مشاربه واتجاهاته ، سيما وانك تجد فى انتاج شاعر واحد اكثر من اتجاه ... تجده جاهليا حينا ، واندلسيا حينا آخر او صوفيا يكتب على غرار البصيرى وابن الفارض ، كما هى الحال بالنسبة للشيخ سيدى محمد بن الشيخ سيديا .

النزعات الاساسية

ولكن تعقد المسالة لا يمنعنا بمجرد مراجعتنا لبعض النماذج من استظهار الملامح الاولية لنزعاته ومدارسه الاساسية : فنستطيع ان نطلق عليها الاسماء المناسبة لها :

المدرسة الجاهلية

ويكفينا ممثلا لها محمد بن الطلبة كما راينا ، خصوصا اذا سهرنا معه ليلته اليلاء (بلغبيبيره) :

وتحسب صبيان المجرة بينها   تناوير أزهار نبتن بهجهج

أو صحبناه على عيسة النجائب فى احدى رحلاته أو رأيناه ينقل معانى النابغة الذبيانى فى الغزل بدون زيادة أو نقصان : يقول النابغة :

كالأقحوان غداة غب سمائه   جفت أعاليه وأسفله ندى

ويقول محمد :

فهو كالأقحوان بيته الطل   فأضحى وجف منه الاعالى

● المدرسة البوصيرية :

واعتقد انه اسم جدير بتلك النزعة التى نجد آثارها من مدائح نبويه واشعار صوفية متناثرة فى انتاج شعراء مثل الشيخ سيدى محمد ومحمد بن محمدى وقد صدق هذا الاخير عندما قال فى قصيدته الشهيرة (زارت على :)

اهدى اليك قديما من مدائحه   كعب وحسان والهمزى ما كثرا

اسدوا به واثاروا ثم ما بلغوا   كلا لعمرك من معشر العشرا

لكن أتوا فيه بالقدر الذى اقتدروا   قبلى ، فهلهلت اقفو منهم الاثرا

فعندما نتفحص احدى تلك القصائد لا نرى فيها فكرة واحدة تقريبا الا وهى ماخوذة عن البرعى أو البوصيرى وغيرهم ٠

● المدرسة القاموسية :

وهى نزعة اتبعها بعض الشعراء الذين ملكوا رصيدا هائلا من اللغة، فاهتموا بتحبير انتاجهم بالتعابير القاسية بحثا عن الموسيقى الكامنة فى الكلمات الرنانة ذات الاجراس الصلفة وربما ايضا لاظهار عضلاتهم فى مجال اللغة ، فجاء شعرهم اقل تقليدا ولكن اكثر افتقارا الى العناصر الاخرى من عاطفة وذوق ادبى ٠ يمثل هؤلاء كل من محمد النانه بن المعلى ومحمد السالم بن الشين ولنأخذ نموذجا لابن الشين فى وصف أسد :

خبعثنة هريت الشدق جاب	يكب على سواعد أيدات
اذا ما اعتس لا يعتس ليث	تبيت به جواحر ضامرات

انها مدرسة جديرة باسم « القاموسية » ٠ ولعل اقوى دوافع ذويها هو نظم المفردات وتسهيل حفظها على طلاب اللغة ٠

● المدرسة الشعبية :

واشهر ممثليها محمد بن أحمد يور كتب اصحابها شعرهم ، وكانما ليس فى اذهانهم غير ماطبعت البيئة الموريتانية فى مخيلاتهم ، وما أعطتهم من أمثلة وحكم شعبية ٠ فجاء شعرهم متسما بالعمق والصدق مع بساطه فى الصور البديعية :

سقى النخلات اللائى يظهرن من بعد	على النهر من ثوبان مرتجس الرعد
فيا نخلتى لورين انى على العهد	وان كنتما منى عن العهد فى زهد
فمبلغ جهدى ان سلام عليكما	وليس يلام المرء فى مبلغ الجهد

وفى بعض الحالات تختلط الفصحى بالعامية فى شكل مشوق ولكنه لا يحترم قواعد اللغة العربية ولا يخدم نقاءها ٠ ومهما يكن من شىء فقد ظل شعر المنتسبين الى هذه المدرسة اقرب الى القلوب واوسع جمهورا واكثر أصاله ٠

● موقف الشعراء المعاصرين

السؤال المطروح هنا اليوم : هل يتابع الشعراء الموريتانيون المعاصرون بناء تجربتهم ومساهمتهم فى انجاز النهضة الادبية الموريتانية بمعزل عن هذا التراث ؟ هل ينبغى ان نقول ان للماضين زمنهم ولنا زمننا وما علينا الا الاستفادة فقط من اقلام النهضة العربية فى المشرق ومثل هذا الموقف شبيه بمن يرفض اشعال شمعته فى الظلام مكتفيا بما يتسرب اليه من اضواء خافتة صادرة من مصابيح الجيران ، ولا يقل خطأ عن موقف المتحجرين الذين يحبسون شعرهم فى أطر « البكاء على المغانى » واستدرار العطية من اهل الخير ٠ لا مندوحة لنا طبعا عن الاستفادة من شعر النهضة العربية فى المشرق ، والسعى الى اللحاق بها ، بل وبجميع الآداب العالمية المتطورة ٠

ولكن علينا ان نفعل ذلك ونحن وقوف على ارض موريتانية ٠

والسؤال الآخر : كيف نستفيد بشكل محدد من تراثنا الشعرى ؟ يمكن ان يتم ذلك اذا تناولناه بالدرس الجدى وغربلناه اولا ، وعندها ستتجلى لنا نقاطه المضيئة وجوانبه الايجابية ، وتجافينا ما منه غير ملائم لروح العصر او يقف عقبة فى طريق التجديد ٠

ان مدارس الشعر الموريتانى رغم كون الكثير منها مطبوعا بميسم التقليد والغوص خارج الماهية الموريتانية ، وعدم التوفيق فى كثير من الحالات فى رسم الذوق والعاطفة والمعاناة الموريتانية ، فلا تخلو واحدة منها من نواحى حسنة ، مثلا نستطيع ان نقتبس من المدرستين الجاهلية والقاموسية جزالة اللفظ واحكام البناء الشعرى وموسيقاه ، بدون ان نقع فى قوالبها الجامدة والمقلدة ومن البوصيرية رقة المعانى وحرارة العاطفة والغنائية البديعية ٠

اما المدرسة الشعبية فهى اجدر من غيرها بالفات انتباه شعرائنا اليها، قصد احيائها وتجديدها والاقتباس منها ٠ فحبذا لو كان شعرنا العصرى قريب المأخذ مشحونا بالامثلة والتعابير الشعبية ، مما يجعل محتواه الهادف فى متناول الجميع ٠

ان مهمتنا اليوم اذن ليست تكرار أخطاء الشعراء القدماء فى التقليد بل تصحيحها ٠ الا ان هذا التصحيح ينبغى ان يمر بالجمع بين روح العصر والانطلاق من تجربتنا الغنية وعدم نسيانها ، اذا كنا نريد ان نخلق شعرا موريتانيا حقا ومتطورا حقا ٠

عودة الهديل

شعر : محمد الحافظ بن أحمد

فزعت عن قلبي الجريح متى اهتديت؟   طال الغياب فشخت بعد بل ذويت ؟
لم لا أرى أثر القرون عليك آ   ه أكنت تبحر في الخلود متى رسوت؟
من أي وهم يا ترى نسجت غلا   لتك التي خلبت فؤادي فانتشيت ؟
أقصص على عجائب الدنيا وحدث   عن تميم الدار فيمن قد لقيت ؟

★ ★ ★

وقلوب عذرة كيف مزقها الهوى   وهواجر الصحراء والنعم السوام
والسندباد وعالم البحر المهو   ل وكيف ينجو المبحرون من الهوام
أو ما يزال النون منهوما أيز   درد الغواني والنبيئين الكرام

★ ★ ★

يا أيها اللحن النشاز تعال نتحد   اتحاد الروح بالاجسام
ونبث (غرفتنا) الوجود سخية   بالخصب والاشذاء والالهام
للكون نخلتنا نهيم بظلها   عشقا ونقطف يانع الاكمام

★ ★ ★

ما أعذب السفر الطويل الى المدى   أين الكفوف وأين أطباق الظلام
ودمى الحرير ولثغة الاقراط والحناء   والخلخال والكتل الضخام
ويطل من خلل الستائر طارق   يومي اليها بالتحية والسلام

★ ★ ★

في عينك النجلا أقدس معبدا   وبثغرك الالمى سكرت من الصبا
وبما عجزت فلست ادرى كنهه   وبخدك الوردى عذبني الجوى

رفقا أبيت اللعن انت مليكة   ملك الجمال أعز من ملك الورى

* * *

فيعربد الشيطان يثنى عطفه   تيها ينرفز بالنكات الساخرات
فتموج اصداء الجنائز بالغطيـ   ـط كأنها اشباح عبقر معصرات
واذا زهير الحب حل ببقعة   كان الربيع ظلالها المتموجات

* * *

عاد الهديل وأنجب الليل العقيم   الى الضياء فلا زئير ولا بغام
الناس قد قرضوا الاظافر واستجا   شوا نخوة الاوطان والهمم العظام
الطين إن نحن اتحدنا عسجد   والغاب فردوس يدغدغه الغمام
كم قد قتلنا أمنا صبرا بما   أخذت بوتر لاولاد خرقت نظام

* * *

والله سوى نشأة التكوين آ   دم صنوه فى خلقها حواء
فى شقة التاريخ ترقد نسوة   عبرت جدار الجنس فهى ذكاء
قد آن ان يترجل المصلوب أو   أن تستدر رثاءنا أسماء

قصة النهضة الثقافية الموريتانية في عهود الانحطاط :

آلاف المؤلفات ... ومئات المؤلفين في مجاهل التاريخ

بقلم خليل النحوي

ان ميلاد دين جديد ، وظهور حضارة حملها هذا الدين في صدره الرحب وان تطور العقلية العربية وانفتاح العرب على العالم الخارجي ٠٠ والزخم الذى اعطتهم اياه عقيدتهم الصلبة الجديدة فدفعتهم ، دفعا من الاعماق ، الى الانتقال والتوغل فى مختلف ارجاء الدنيا حيث ما وجد بشر يأملون ان يكون من أبناء الدين الجديد ودعاته ٠٠

ان ميلاد هذا الانسان العربى العملاق الذى غزا ـ اول ما غزا ـ الارض ٠٠ وحيث تعتبر الارض سماء منيعة ٠٠ هذا الميلاد كان من شأنه ان يسهم من قريب ، او من بعيد ، فى اظلال موريتانيا بظلة العروبة ، والتمهيد للاسلام لينشر بساطه على أرضها العريقة ، والتمهيد ـ من هناك ـ لتقبل العلم وبثه فى أوساط من أثقلهم الجهل بأعبائه ٠٠ وقد كان ورود فاتحين عرب على موريتانيا فى القرن الاول الهجرى ، وميلاد دولة المرابطين فى القرن الخامس، كان ذلك كله خطوة على الطريق ٠ وحركة الزمن تؤكد لنا كيف ان انهيار حركة الثقافة والعلم بموريتانيا ، بعد قيامها مباشرة ، جاء مرافقا لانهيار فى بقية الاقطار العربية التى كانت يومئذ منبع العلم والثقافة لكل البلاد الاسلامية ٠٠ وحركة الزمن تؤكد لنا كيف جاء هذا الانهيار فى الحين الذى ساد فيه فتور أكيد داخل نفوس الفاتحين عندما ولد جيل جديد ذاق من طيبات الحياة فى الاندلس والمشرق ، ولم يعد هناك ضمير كامل السلطة يدفع العربى ، بقلبه وعاطفته ، الى متابعة مسيرة الفتح ٠

وقد كان من الممكن فعلا ـ واعتمادا على ما اسلفنا ـ ان لا يؤثر موت اشخاص معدودين نشروا العلم في موريتانيا على حركة العلم ، لو ان مدا عربيا استمر في اجتياح البلاد ٠٠ أما وقد تحقق لنا توقف هذا المد وانصراف الانظار عن الصحراء مع ميلاد جيل حمد الله على ما نال ورأى في القناعة غنى له واثرة ولم يعد يهتم « بالتوسع » (ان صحت العبارة) لاسباب ربما يكون لتطور العقلية فيها دخل ٠ وأما أن نكون الى جانب ذلك ، قد عرفنا ان هناك عاملا مهد في الداخل ، هو ان العلم لم يكن قد اثبت قدميه في موريتانيا ، بحيث يضمن الصمود في وجه عوامل الانهيار ٠٠ أن نكون قد عرفنا ذلك كله ، فمن الاكيد الحكم بأن انهيار علم قام متضائل القوى ، وأفول نجم ظهر خافت النور ، وراء اى حاجز أمر لا صعوبة في تصوره ٠

لقد توفي عبد الله بن ياسين دون ان يؤدي رسالته أساسا كفقيه ٠٠ فقد كان في مهمته العسكرية التي اضطلع بها والتي كانت ضرورية في الواقع كتمهيد للعلم والثقافة ، شغل شاغل عما قد يكون فيه قفز مراحل ٠٠ وبالنتيجة فقد كان موت عبد الله شهيدا في ساحة القتال موتا لعلمه او جل علمه ٠٠ ولقد جاء بعد ذلك الامام الحضرمي والفقيه ابراهيم الاموي ولا شك انهما قد تركا أثرا للعلم غير ان هذا العلم صدم بموتهما وكاد الاثر يندثر ٠ والمعجزة حق المعجزة ان تنجو بعض مؤلفات الامام الحضرمي من هذه اليد التي عبثت بكل شيء آخر ، فالذي يؤكده المؤرخون العرب ان الامام الحضرمي قد خلف كتابا تحت عنوان (التحرير) ٠٠ وهذا الكتاب لاقى مصيره كبقية منابع العلم والثقافة ، هو وكتاب الاخلاق (الاشارة في تدبير الامارة) لا بد ان يكونا فاتحة التأليف بموريتانيا ، والمعجزة حقا هي بقاء هذا الاخير ، فلا تزال توجد منه نسختان احداهما لدى المؤرخ الموريتاني العلامة المختار بن حامد والاخرى بالمكتبة الوطنية بالرباط ٠

● الى جانب عدم التركيز في الداخل مهد لانهيار الثقافة بموريتانيا بانقطاع المد من الخارج ، تجدد حياة لهو وحضارة عابثة في الدولة الاسلامية ٠٠ ونتيجة لتطور الحياة لم يعد هناك بالطبيعة من يتجاسر ويفكر في الدخول الى الصحراء القاحلة ٠٠ وثمة عدة أسباب أخرى لعل من أبرزها فقر في القيادات جاء نتيجة لسعة الدولة الاسلامية ، فكان من المفروض ان توجه هذه القيادات اهتمامها كله الى الاحتفاظ بما في حوزتها ، متدرجين من الاهم الى المهم ٠٠ أضف الى ذلك أن المجتمع العربي يومها قد توجه الى البناء الداخلي الى التطور في الحياة وأساليب الحياة ٠٠ وكان في ذلك شغل لن يسمح لمن

يعنون بالنهضة ، بالبناء والتطور ، أن يخرجوا أو يسمحوا بتخلف جزء من الجهد العام ، بينما كانت الجيوش العربية كلها تسهر هى الاخرى على مهام عريضة ٠

● شعرت الاحكام بضرورة أمنها وضمان مستقبلها فى العروش ، وذلك الوقت الذى اصبح فيه الانقلاب أمرا عاديا وغير مأمون ، فكان من اللازم الاحتفاظ بوحدات عسكرية تعمل على توفير هذا الامن وضمان ذلك البقاء ، وبدأت فى الوقت نفسه أطماع خارجية ٠ ومناوشات كان محتما حشد الجنود لمجابهتها، لضمان أمن عام ورعاية مستقبل شامل ٠٠ وتوجهت الانظار ٠٠ وتوجه التخطيط الى طرح خطط دفاعية ٠٠ الى تأمين حياة الملك والرعية ٠٠ وفعلا كانت هنا خطط ، وكانت هناك جيوش على مستوى عال من القدرة ٠٠ وكانت هناك اساطيل ، لم تكن مهمتها الاولى الفتح او توطيد اركان الدولة حيث لا خطر يداهم الدولة ، وانما كان هدفها الاول مجابهة ما قد يحدث من الداخل والخارج ٠٠ ولابد أن الحرب السياسية داخل الدولة الاسلامية والخلافات العقائدية المتمثلة فى الهيئات والحركات المختلفة ٠٠ ولا بد ان النضال السياسى الذى قام اكثر من مرة فى سبيل الاطاحة بحاكم ما او دولة ما ٠٠ لابد ان فى ذلك كله ما يشغل عن تجديد فتح او حركة نزوح او هجرة أو توجيه مد ما لبلد ما ٠٠ كلها عوامل ربما تكون قد ساعدت على قطع المد الثقافى عن موريتانيا بل وربما كان هناك — فضلا عن ذلك كله — من العرب من يعتقد انه ليس فى الامكان ابدع مما كان ٠

● أما من الداخل فقد كان هناك — زيادة على ما تقدم — أكثر من سبب ، فالوضع الجغرافى وحده كان كفيلا — ومع فتور الهمم — بايقاف هذا المد ٠ فقد كانت هناك حواجز طبيعية ٠٠ كان هناك على سبيل المثال ، بحر رمال ٠٠ وكان هناك جو صحراوى وشعاع شمس محرقة لن يحجبه عن المترفين الا ايمان أكيد لا يتزعزع ٠٠ وايمان من نوع خاص ٠٠ توقف المد بموجب ذلك كله من الشمال ، أما فى الجنوب فلم تكن هناك الا دويلات حديثة العهد بالاسلام تعتمد فى مدها الثقافى على موريتانيا ٠ ولعل اول عامل مهد لهذا الانهيار هو سقوط دولة المرابطين فى الجنوب ، وباستطاعتنا هنا أن نحمل التجزئة بعض تبعات هذا الانهيار ، مؤمنين حق الايمان أنه لو لم يكن هناك جنوب وشمال لو لم يكن هناك أميران ، يوسف أمير ٠٠ وأبو بكر أمير ٠٠ لاستطاع العلم والثقافة بموريتانيا ان يحصلا على رخصة للبقاء اكثر مما كان ٠٠ أما وكل ذلك لم يكن ، وكان ان سقطت الدولة فى الجنوب ، وكان

الوضع الطبيعي الشاذ قائما في نفس الكفة ، فقد كان الحصول على عامل ممهد للانهيار ـ وكنتيجة طبيعية لهذه المعادلة ـ أمرا مؤكدا ٠٠ كان هذا العامل متمثلا في شقاقات داخلية بلغت أشدها في عصور مظلمة لا نعرف عنها الكثير ، وامتدت حتى زاحمت الثقافة في عصور الثقافة ، والعلم في عهود العلم الزاهرة ٠ ان عدم رسوخ العقيدة والصعوبة التي اعترضت الدعوة وهي تحاول اقتحام أدمغة وقلوب بدو رحل يريدون الحرية مطلقة وبلا حدود او قيود ٠٠ هذه الصعوبة وهذه العقبة التي اعترضت الدعوة ، عندما بدأت تدخل ظلت قائمة لتحاول نقض أساس الدعوة أو التحرر من جل ما فيها من قيود مع الاحتفاظ بالتسمية كمسلمين ٠٠ وكمسلمين بلا آفاق ٠

صحيح ان الشعب العربي ، والمجتمع الذي كان قائما في موريتانيا ، قبل الاسلام ، قد تقبل الاسلام فور دخوله ، ربما لان حملته كانوا من ابناء جنسه بل ، وبصورة عامة ، فان هذا المجتمع لم يكن بعيدا بأية حال عن هذا الدين الذي وجد فيه تلبية لبعض مطامحه الفطرية في الحياة الحرة الشريفة والهناء والرخاء ، ولكن ـ وكما اسلفنا ـ فان هذا المجتمع الذي أخذ الدين غير كامل ، تقبل بعضه واعرض عن بعض فارغم عليه ٠٠ هذا المجتمع لم يستطع أن يحتفظ بالدين كشريعة ٠٠ كقانون معاملات ٠٠ كأخلاق واجتماعيات ، وانما تجرد منه مدفوعا بظروف عصبية وبفقر في التكوين العقائدي والتربية الدينية ، فنشأ صراع ضار بين الشعب ، بين فئاته ووحداته ، وحتى بين من تجمعهم ـ من القريب ـ أرومة واحدة ، كل ذلك أساسا في سبيل ان يحصل الجائع المتمرد على لقمة عيشه برخاء ولا يهمه أن تكون على حساب الآخرين وكل ذلك ـ من ناحية أخرى ـ على سنة العرب القدماء وما عرفوه من صراعات كانوا في بعضها ، او لعلهم كانوا ، يعتمدون مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» ٠٠ فعلا ! فقد كان ما يهم الكثيرين هو الحصول على ثروة وجاه وسلطان ٠٠ أن يحصلوا على مادة يواسون بها المستجدي واللاجيء ويكسبون لانفسهم مجدا وسمعة وكرامة ، ولن يكون النهب في هذه الحالة الا من جملة المحامد السالفة لأنه ـ حسب ما يرون ـ ترجمان شجاعة ورباطة جأش ٠٠ انهم يريدون الاخذ من ذلك والهبة لهذا ولا يهمهم من يكون ذاك وهذا وانما مجرد الجمع بين شجاعتهم وسماحتهم ، وفي سبيل هذه الغاية لا يستنكفون عن استخدام كافة الوسائل ٠

كل هذه الامور وهذه الاوضاع التائهة المفاهيم والغايات أكسبت الداخل مناعة ضد انتشار العلم وتطوره ٠٠ والنتيجة الحتمية لكل ذلك كانت في

النهاية سقوط نجم الثقافة وانهيار اللبنات الاولى التى كانت قد رفعت الثقافة فى عهد المرابطين . ولعل من اللازم التنبيه الى ان موريتانيا لم تخضع لاى فتح بعد أوائل القرن الثانى الهجرى ، بعد حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع ، وانما كان هناك المرابطون الذين احتفظوا بصفة المسلم منذ دخول حبيب ، ونهضوا فى الاخير ليستجلبوا المد الثقافى من الخارج بأنفسهم ، وشأن موريتانيا فى ذلك شأن كل البلاد الاخرى تقريبا ، فقد كان القرن الاول ، وحده ، هو قرن الفتوح .. وعندما قامت دولة المرابطين في موريتانيا، كانت فى المشرق ، وفى العهد العباسى ، المعارك السياسية ، وسياسة الاخذ والترجمة ونقل ما زخرت به الثقافات المختلفة الى اللغة العربية ، ولم يكن منتظرا بعدئذ ان يكون هناك مد بالنسبة لبلد كموريتانيا ، وقد كان قيام دويلات وسقوط دويلات فى المشرق وانقضاض دولة السلاجقة فى الاخير ليرفع العلم المغولى على قلاع دمشق فى خمسينات القرن الثالث عشر الميلادى وتفكك الدولة الاسلامية فى الاندلس ، كل ذلك كان نذيرا بانحطاط لن تؤمل الصحراء القاحلة ايامه ، وورود ناشرى علم وثقافة من الخارج .. كلها عوامل تشابكت لتجعل من انحطاط الثقافة بموريتانيا أمرا واقعا لا مجال لتجاهله .

وعلى مر هذه الفترة الانتقالية الطويلة كان لابد للعلم ان يعود ، وفعلا عاد .. لكن متى تحققت هذه العودة ؟ اننا نستطيع بظن وتخمين اعتبار نزوح القبائل العربية (قبائل المعقل بنى عقيل وبنى هلال ، وبنى حسان) والتى دخلت الى موريتانيا فى القرن السابع او الثامن الهجرى بداية نهاية للفترة الانتقالية فلا بد ان هذه القبائل قد حملت معها قلما .. وعلما .. ومعرفة .. ولسنا نتجاهل ما يمكن ان يكون قد تركه دخول اثنين من أجداد القبائل الموريتانية (يحيى الكامل والشريف عبد المؤمن) ، قبل نزوح قبائل المعقل ، من أثر على الثقافة فى البلاد .

ان نزوحا عربيا ـ متمثلا فى قبائل عربية متنقلة ـ الى موريتانيا أمر مؤكد الوقوع ، وان دخول علم وثقافة مع هذه القبائل امر هو الآخر شبه مؤكد على الاقل ، وباستطاعتنا القول أيضا ، بأن عوامل فى الداخل قد مهدت هى الاخرى لتقبل انقلاب تدريجى فى الاوضاع وللتجارب مع ظروف جديدة بتاح فيها للثقافة فى موريتانيا أن تنهض من جديد ، وأن تبعث من سباتها الطويل بعثا قد يكون أعظم حظا فى البقاء واوسع فرصة للاستمرار .. ونستطيع تخرج من البلاد ولو لغرض تجارى ، قاصدة الاندلس والمشرق وبقية البلاد التكهن فى هذا المجال ، ومقابل النزوح العربى ، بان قوافل موريتانية كانت

العربية ·· شيء من هذا القبيل قد تأكد في القرون الاخيرة · ويدفعنا الى الاعتقاد بأن له جذورا فى التاريخ البعيد ـ نسبيا ـ وانه لابد ان يكون قد رجع بفائدة ، مهما كانت ضآلته ، ولا يبعد ان تتحمل الطبيعة وحدها والواقع تبعة اندثار ما نجزم بوجوده وعدم اتصالنا بأى شيء يجعلنا على يقين كامل منه · واذا كان من شأن ذلك أن يدفعنا الى الشك في وجود هذه القوافل خلال عصور مغرقة فى القدم ، فا نهذا الشك ينتفى أخيرا ، ويصبح بامكاننا الحكم عن يقين كامل بأن نزوحا أكثر من القوافل الدورية قد ربط موريتانيا بأقطار المغرب ، والمشرق عبر أربعة قرون سالفة على الاقل · وكمثال محسوس ، فان قافلة سنوية كانت تخرج من شنقيط مشكلة من 32 الف جمل محملة بالملح ·· وكان اهلها يتاجرون بها ويحجون عليها ويحملون معهم المال والعلم معا الى البلاد · ويتأكد لنا بما لا يقبل الشك ، وكمثال آخر ان رجالا أمثال سيدى عبد الله بن رازكه ، وعلى شنظورة ، وأحمد مسكه وغيرهم كانوا فى عهود سابقة على صلة وثيقة بسلطان المغرب ومن هناك بالمغرب ككل · ولابد ان هذه الاتصالات قد اسهمت فى شحن الثقافة الى موريتانيا ، فقد اهدى السلطان الى المذكورين جيوشا وكتبا · ويتحدث احمد مسكة قائلا انه حمل من المغرب [12] فنا لم تكن معروفة فى البلاد من قبل · وقد يصعب علينا الحصر اذا اردنا ان نعد على رؤوس الاصابع اسماء الذين درسوا من موريتانيا فى الاقطار العربية · ولابد ان يكون العلامة لمجيدرى ـ الذى جال فى البلاد العربية لطلب العلم وعاد بعقيدة لاقى فيها انكارا كثيرا ـ قد يكون تأثر بالدعوة الوهابية فى المشرق · ان ارتباط موريتانيا ببقية البلدان العربية فى القرون الاخيرة قد اصبح حقيقة لا تقبل الجدل ، وواقعا ملموسا فى شتى الجوانب · وربما تكون الطرق الصوفية ـ وبالخصوص التجانية والقادرية ـ قد اسهمت فى تعميق هذا الاتصال فثمة ، على سبيل المثال ، موريتانيون كثيرون تلقوا الطريقة مشافهة عن الشيخ التيجانى بالمغرب ·

وبالنسبة لحركة التأليف فى موريتانيا ، كنتيجة لتلقى العلم وهضمه ، فالذى يتأكد لمن يتتبع غضون التاريخ الموريتانى ان هذه الحركة قد بدأت بشكل ملحوظ فى القرن الحادى عشر الهجرى وظلت تنمو حتى ازدهرت فى القرن الثالث عشر وبلغت اوجها فى اوائل القرن الرابع عشر ، وهى بذلك تؤكد لنا ان فترة تلق وأخذ قد مرت قبل أن يبدأ الموريتانى فى الكتابة ، ان كان من المؤكد فى نفس الحين ان التأليف اصبح فى وقت مبكر هواية محترفة من قبل العديدين وقد تأكدت عظمة الاهتمام الذى أولاه الموريتانيون للتأليف فى بقاء مؤلفات اكثر من ستمائة شخص ، وقد اعتمدنا فى كل ما

جاء فى هذا البحث أعمال أو ما تبقى من اعمال حوالى الاربعمائة منهم ، وقد وجد من بين هؤلاء المؤلفين من ألفوا عدة مصنفات ، ووجد من بينهم من بلغت مؤلفاتهم العشرات ومن أبرز هؤلاء :

- ابراهيم بن امانة الله اللمتونى الذى خلف اكثر من 20 كتابا
- احمد الصغير الذى خلف اكثر من 30 كتابا
- احمد بن محمد الحاجى الذى خلف اكثر من 30 كتابا
- سيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم الذى خلف اكثر من 30 كتابا
- الشيخ سيدى المختار الكنتى الذى خلف اكثر من 30 كتابا
- الشيخ سيديا الكبير الذى خلف اكثر من 30 كتابا
- محمد الامين بن احمد زيدان الذى خلف اكثر من 30 كتابا
- محمد مولود بن احمد فال الذى خلف اكثر من 30 كتابا
- الشيخ محمد حبيب الله بن مايابى الذى خلف اكثر من 30 كتابا
- عبد الله بن الحاج حماه الله الذى خلف اكثر من 45 كتابا
- محمد يحيى الولاتى الذى خلف اكثر من 45 كتابا
- محمد يحيى بن سليمة الذى خلف اكثر من 75 كتابا
- المختار السالم بن على الذى خلف اكثر من 100 كتاب
- الشيخ ماء العينين الذى خلف اكثر من 125 كتابا

ومن حيث مواد التأليف وموضوعاته التى تناولها فقد اهتم الموريتانيون بالفقه بالدرجة الاولى،وكانوا على حق٠فالبدوىالموريتانى الذىبدأ يودع عصور الجهل كان احوج ما يكون الى توعية وتثقيف دينيين يعبثان عقيدته بالقوة والاستمرار ، ويفتحان له الضوء الاخضر فى طريق الحياة وما فى الحياة من معاملات وعبادة ، ومن حقوق فيما بينه وبين ربه ، وفيما بينه وبين نفسه ، ثم فيما بينه وبين المجتمع من حوله ٠ وانتدب الكثيرون عبر القرون الطويلة لانارة هذه الطريق ، وقد اعتمدوا مناهج مختلفة وانتهجوا طرقا ومواضيع شتى فهناك من حاولوا الاستقصاء وعملوا على تقديم اوسع ما امكنهم تقديمه فى كل ما يتصل بالفقه وثمة من كتبوا خصيصا فى القضاء ، ومن كتبوا فى فروع خاصة من الفقه كالبيوع والزكاة والصوم ومبيحات الفطر والايمان والعدالة والدية والفرائض ، وفى القرن العشرين اهتم العديدون بالبحث في قضية ثبوت الاحكام بالتلغراف وحلية المعاملات البنكية ، وفى القرن العشرين

بدأ التأليف فى الفقه يأخذ طابعا جدليا واجتهاديا توسع بتوسع الخيال وآفاقه ، فقد حرص الفقهاء على أن يعيشوا بفكرهم وخيالهم كل ما يمكن ان يكون ، وان يضعوا فى الاعتبار كل ما يمكن ان يحدث ، وكان فى هذا الاتجاه وضع حد للكثير من النقل والنسخ والتقليد.٠٠ان اكتفاء ذاتيا قد نما فى احضان التجربة الوافية والممارسة الطويلة ، والى جانب هذا الاكتفاء وذلك الاتجاه ، كان هناك من ألفوا فى الاستدراك على الآخرين ، وكان هناك من ألفوا فى الشوارد والنوازل والالغاز ، ومن ألفوا فى فقه المذاهب الاربعة ٠ وبنظرة الى الوراء نجد أن التأليف فى الفقه ، كأى شىء آخر – بل وربما اكثر – كان يعانى ضعفا بالغا فى القرن الحادى عشر الهجرى، بينما بلغت مؤلفات القرن الثانى عشر حوالى العشرة ، وبلغت المئات فى أوائل الرابع عشر ، وقد عولج الفقه ، ككل المواضيع الاخرى ، نظما ونثرا ٠ ومن اهم ما قدم فيه نظما : منظومة ابراهيم بن امانة الله اللمتونى التى بلغت 12 الف بيت ومنظومة احمد بن محمد محمود (9 آلاف بيت) ٠

وقد تناول علماء وفقهاء موريتانيا الفقه على شكل فتاوى جاءت ردا على أسئلة ترد عليهم من الاوساط الشعبية ، وغالبا ما تكون هذه الاسئلة عن نوازل ومشاكل يصعب حلها ، وشملت الاسئلة والردود مختلف فروع الفقه وربما اصوله وحتى مختلف الفنون الاخرى وهناك امكانية القول بان الفتاوى المجموعة قد سبقت حركة التصنيف فى الفقه او زاحمتها على الاقل ، فقد ظهرت هذه الفتاوى فى القرن الحادى عشر ، وعرفت فيما يزيد على 10 مؤلفات فى القرن الثانى عشر ، وفيما يزيد على العشرين فى الثالث عشر ، وفى الرابع عشر تجاوزت الثلاثين ٠

– تناول الموريتانيون بالتأليف كذلك أصول الفقه وقواعده وفى هذا المجال وضعت على بساط البحث أمام المؤلف الموريتانى عدة مواضيع وبحوث تناولت الاجتهاد والتقليد وقوانين التجريح والقياس والاجماع وغير ذلك ، وقد ازدهرت الكتابة فى الاصول والقواعد خلال القرن الثالث عشر الذى عرف أكثر من 20 كتابا، والرابع عشر الذى عرف حوالى 50 كتابا٠ وقد ظهرت الفيات عديدة تناولت الاصول والقواعد بوفاء ٠

– فى اللغة وفقه اللغة كتب الموريتانيون عن اسرار اللغة العربية وأبدوا فيها ملاحظات دقيقة ، كما خصوا بالدراسة والتأليف بعض الحروف ، وتعرضوا لكلمات ذات خصائص فى اللغة وعرفت ايضا فى هذا الميدان ألفيات عديدة ،

وعرفت 15 نظما بين مجموع المؤلفات التي تعددت في القرن الثاني عشر ، وبلغت 13 كتابا في القرن الثالث عشر و 20 في القرن الرابع عشر ·

ـ وفي النحو كان هناك حوالي 10 مؤلفات في القر نالثاني عشر و 15 في الثالث عشر ، و 30 في الرابع عشر ، و 35 نظما بين المجموع ، وقد تطرقت المؤلفات الموريتانية في النحو الى مختلف جزئياته وكلياته، وكانت هناك تآليف كرست لمواضيع خاصة وشاذة في النحو ·

ـ في الصرف تركزت العناية على الافعال والصيغ المختلفة الاوزان ، والكلمات ذات الاوجه والاوزان المختلفة · ومع الاشارة الى أن جل الذين الفوا في النحو أخذوا الصرف كجزء منه لا يتجزأ ، فاننا نشير الى أن الذين خصوه بالدراسة حشدوا له (5) مؤلفات في القرن الثالث عشر ، و 15 مؤلفا في القرن الرابع عشر من بينها 12 نظما على الخصوص

ـ في الادب بصفة خاصة ، عنى العديدون بتاريخ الادب العربي وبتصنيف طبقات الشعراء، وكان ثمة من تحدثوا عن العروض والادب بصفة عامة ، ويبدو أن الادب عرف هو الاخر ازدهارا في القرن الرابع عشر في حين لم يحظ في الثالث عشر بأكثر من عشر مؤلفات وقد شغل النظم 23 من المجموع ·

ـ حظى القرآن بالكثير من الاهتمام عند الموريتانيين ، وحق له فهو أول ما يفتح به الموريتاني عينيه على الحياة وعلم الحياة · وقد تناول التآليف في خطوطه العريضة ترتيب سور القرآن وآياته ، والحديث عن نزوله وأسبابه وتفسير مبهمه وخواص آياته وكلماته ، كما تناول الكثيرون القراءات والقراء وغريب القرآن ناسخه ومنسوخه ومتشابهه والحروف المشددة فيه ونحو ذلك وقد تناول النظم نحو 66 من 120 مؤلفا بينها 100 في القرن الرابع عشر ·

ـ أما عن الحديث فقد تمثل التأليف فيه في محاولة تصنيفه والحديث عن مصطلحه وناسخ ومنسوخ السنة · وقد تناول النظم 26 مقابل 38 المجموع وعرف القرن الرابع عشر وحده من المجموع 40 مصنفا ·

ـ اما عن السيرة والانساب فقد حظيت موضوعات شتى بالدراسة والتاليف وكان من بين هذه الموضوعات انساب القبائل الموريتانية وانساب العرب عامة وقد عكس الاهتمام الموريتاني بانساب العرب شعورا بالاصالة وروحا قومية عريقة · وفي السيرة كانت هناك غزوات النبي (ص) واخلاقه وتعداد آله والترجمة لبناته وصحابته وازواجه وخصائصه ومعجزاته وسيرة خلفائه

الراشدين ، وقد شغل النظم فى هذا المجال 75 بينها الالفيات ، من مجموع 100 كتاب منها 50 أو أكثر فى القرن الرابع عشر الهجرى ٠

ــ وفى التاريخ ٠٠ ارخ الموريتانيون بعضهم لحياة بعض ، وظهرت كتب كثيرة تتناول التاريخ فى نطاق عام ، من تاريخ البلاد الى التاريخ العربى العام ، وقد ظهرت فى التاريخ مجموعة تربو على السبعين مؤلفا تتطرق الى وفيات الاعيان وحوادث سنى الهجرة وحوادث السنيين فى البلاد وتاريخ المدن والمناطق، اضافة الى منظومات ومؤلفات فى التاريخ ككل ٠ وقد حشد مؤرخ موريتانيا العلامة المختار بن حامد (اطال الله بقاءه) لتاريخ البلاد كل طاقاته وأنجز بالماضى 9 أجزاء من موسوعة له عن تاريخ موريتانيا ، على ان يكمل بقية هذا الانجاز الضخم فى ظرف غير بعيد ان شاء الله ٠

ــ فى المنطق والفلسفة والكلام والجدل تنوولت المواضيع الجدلية وكانت هناك مواد فقهية اكتسبت صبغة جدلية ٠٠ وتناول البحث مسائل فلسفية وكلامية كمسألة الحلود وبعث الاجساد والمعية ومذاهب الحقيقة وآيات الصفات وتأويلها ٠ وقد حشد للنظم 43 مقابل 55 مؤلفا فى النثر ، وعرف القرن الرابع عشر من المجموع 60 كتابا ٠ وقد عرف البيان هو الاخر تآليفه الكثيرة ٠

ــ وفى الطب كان هناك عمالقة مبتكرون وملمون بجوانب الطب التقليدى وكان ممن عنى منهم بالتأليف : أوفى الشمشوى عملاق الطب بموريتانيا ومحمد بيب بن المقرى ومحمد فال بن متالى والشيخ ماء العينين ومحمد الامين بن الربانى والمختار السالم بن على ٠

ــ فى الحساب والرياضيات برزت مجموعة تآليف لعلماء من اهمهم : احمد بن حامدتو ، وسيد احمد بن اسمه ، والطالب محمد بن الطالب اعمر الحطاط الولاتى ، ومحمد احمد بن البخارى ، ومحمد امبارك اللمتونى ، ومحمد عبد الله بن القاضى ، ومحمد يحيى بن سليمة ، والمختار بن محمد بن اغليميت ٠ وعرف الحساب فى المصنفات الموريتانية منذ القرن الحادى عشر ، وان كان ــ كغيره ــ لم يبلغ اوجه الا فى القرنين الاخيرين وكانت هناك 10 أنظام من مجموع المصنفات فى هذا المجال ٠

ــ فى الجغرافية ظهر حوالى 15 تاليفا تناولت الآبار وجغرفة البلاد والحديث عن بعض الظواهر الكونية الطبيعية ونحوها ، ولاحمد بن حبيب فى الجغرافيا نظم من 1210 بيتا ٠

ـ عرف الفلك فى القرن العاشر وازدهر على مر القرون • ولعل من أهم من ألفوا فيه سيد أحمد بن اسمه العلامة المخضرم الذى عاش فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين الى اوائل التسعينات « السبعينات الميلادية » •

ـ الاخلاق والاجتماعيات : ازدهرت فى البلاد وجاء التأليف فيها ردا على اوضاع اجتماعية منحرفة خطيرة،وتناولت آداب الحياة اليومية : آداب المعاملات وتهذيب الاخلاق والمشاكل الاجتماعية المختلفة كالشقاق والتنافر وقضايا الصلح •• وتناول بعضهم بالتأليف مسألة التدخين من الناحية الاخلاقية والاجتماعية الدينية وقد اختص القرن الرابع عشر بحوالى المائة من مجموع ما ألف فى هذا المجال ، وباستطاعتنا اعتبار العلامة محمد مولود بن احمد فال أحد أئمة المدرسة الاجتماعية ، خاصة وقد كتب فى قضايا هامة كتعليم الاطفال واحكام السؤال وأدب الأكل والشرب والضيافة وعيادة المريض والانفاق ومحارم اللسان وما الى ذلك •

ـ التصوف ، كالفقه أو اكثر منه ـ حظى بعناية كبيرة ، وقد تناول الطرق الصوفية ومباحث الحقيقة والخلاف بين الفقهاء والمتصوفة ، كما تناول اسماء الله الحسنى وشرحها وخواص واسرار الحرف والكلمة الى جانب النصائح والمواعظ والمدائح النبوية والدعوات والاذكار وقد عرف التصوف كالفقه ازدهارا فى القرن الرابع عشر حيث بلغ مجموع ما الف فيه حوالى 300 كتاب وقد شغل النظم 120 من المجموع •

ـ والمتنوعات والرحلات هى الاخرى حظيت بقسط من العناية ، فبخصوص الرحلات نجد بين يدينا مجموعة تآليف منها منظومة البشير « رحلة الى الحرمين» ورحلة محمد يحيى الولاتى ورحلة الطالب أحمد بن اطوير الجنة ، وتجدر الاشارة الى ان ثمة عوامل عديدة منعت تدوين الرحلات ، فقد كانت هناك رحلات كثيرة ، ولم يدون منها الا النزر القليل ، لطبيعة الارض والحياة والطبيعة الاستثنائية للرحلات • ورغم ذلك فان الكيف فى الرحلات الموريتانية قد عوض عن الكم حيث من الممكن اعتبار رحلتى ابن اطوير الجنة والولاتى من أجود ما كتب عن الرحلات •

وبخصوص المنوعات فقد كانت هناك الالغاز المختلفة • وكان هناك من جمعوا فى تأليف واحد بين الطب واللغة والمنطق والنحو ، ومن جمعوا الحديث والسيرة ، او التاريخ والمنطق ، او النحو والبيان والاصول والمنطق ، او التوحيد والفقه والتصوف والطب • ومن أهم كتب المنوعات كتابا « الاقرن » و « الاجم » للشيخ محمد المامى وكتاب « الاعداد » لاحمد بن حبيب وبالجملة

فقد توزعت 20 كتابا ، هى مجموع المتنوعات ، بين القرنين الاخيرين وكـان من بينها ستة أنظام ٠

نسجل ما سبق بغض النظر عن كل ما قام به الموريتانيون من تنسيقـات فيما بينهم او فيما بينهم وبين علماء آخرين ، فقد اهتم الكثيرون بشرح او نظم او تذييل ما ألفه موريتانيون آخرون وكان هناك ـ فعلا ـ من نظموا الشروح وسجلوا عليها اضافات ٠ وقد عمل بعضهم على تلخيص او استخراج لب مـا كتبه آخرون ٠ وجاء ذلك فى اكثر من 32 نظما من 200 هى مجموع ما حشـد لهذا الموضوع ٠

ـ وفى نطاق تنسيقاتهم مع علماء الخارج تناولوا بالشرح والنظم الكثير من المؤلفات ولعل من ابرزها :

ـ مختصر خليل بن اسحق المالكى : فقد علقوا عليه ونظموه وشرحوه كله أو أجزاء منه كالسهو والفرائض والبيوع ، وشرحه بعضهم فى النظم ونظم فى العامية وعنى آخرون بتذييله واضافة تتمات اليه بينما اختصره البعـض ٠٠ وقد بلغ مجموع الانظام التى خصصت له 14 نظما مقابل 38 تأليـفا منـثـورا كشروح ٠

ـ الى جانب مختصر خليل هناك الفية محمد بن مالك الحيانى الاندلسـى فى النحو والصرف التى حازت شهرة واسعة ٠ وقد شرحت فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وقدم لها فى القرن الرابع عشر الهجرى اكثر من 16 شرحـا ٠

ـ الى جانب ذلك كله برزت مؤلفات كثيرت شرحت وعلق عليها مثل :

ـ الرسالة لابن ابى زيد التى ترجع اغلبية شروحها الى القرن الثالث عشر (13 شرحا) ٠

ـ لامية الزقاق وقد شرحت فى القرن الثانى عشر ، ولعلها كانت من أقدم ما وصل الى موريتانيا

ـ تحفة الحكام لابن عاصم وقد شرحت فى القرنين الاخيرين ٠

ـ المرشد المعين على الضرورى من علوم الدين لابن عاشر وقد شـرح فـى القرنين الاخيرين ٠

ـ تبصرة ابن فرحون وقد هذبت ورتبت ونظمت فى القرن 14 ٠

ـ فتاوى عليش ونوازله وقد نظمت فى القرنين الاخيرين ٠

ـ تكميل المنهج لميارة ٠ وقد ذيل وشرح فى القرن 14 ٠

ـ أجوبة عبد القادر الفاسى وقد نظمها زين بن احمد اليدالى فى القرن 14

ـ لامية ابن مالك وقد كتبت عليها استدراكات من بينها استدراك الحسن بن زين والفت عليها شروح وطررو « احمرارات » ٠

ـ مثلث ابن مالك وقد كتبت عليه استدراكات من بينها استدراك ابى بكر بن محنض فى القرن 13 وشرح فى القرن 14 ٠

ـ لامية العجم وقد انحصرت العناية بها فى القرن 13

ـ ديوان غيلان وقد شرحه الكثيرون فى القرنين الاخيرين

ـ مقصورة ابن دريد ٠

ـ لامية المجراوى فى اعراب الجمل وقد شرحت فى القرن الثانى عشر وانبعثت من جديد فى 14 ٠

ـ اضاءة الادموس للهلالى على خطبة القاموس ٠ وقد شرحت ونظمت فى القرنين الاخيرين

ـ مختصر الاجدابى فى اللغة وقد شرح ونظم فى القرنين الثالث عشر والحادى عشر

ـ لامية العرب وقد شرحت فى القرنين الثانى عشر والرابع عشر ٠

ـ قافية رؤبة وقد شرحت فى القرن الرابع عشر ٠

ـ الرسالة القشيرية وقد نظم فى الترجمة لرجالها فى القرن الرابع عشر٠

ـ حلية الاولياء لابى نعيم وقد نظمها أحمد بن دهاه فى القرن 14

ـ المعلقات وقد شرحت فى القرن 14

ـ دواوين الشعراء الستة الجاهليين وقد شرحت فى الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ٠

ـ كافية ابن مالك فى النحو وقد شرحت فى القرنين 13 و 14 ٠

ـ دلائل الخيرات وقد شرح فى الثانى عشر والثالث عشر ٠

ـ مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام وقد شرح فى القرنين الاخيرين (الثالث والرابع عشر) ٠

ـ ديوان الشماخ وقد شرحه محمد بن فتى والشيخ احمد بن احمدى فى القرن الرابع عشر

ــ الشاطبية فى القراءات لابى القاسم الشاطبى وقد عولجت فى القرن 14
ــ القاموس وقد استخلص البشير منوعاته فى القرن 14
ــ منظومة المكودى فى التصريف وقد شرحت فى القرن 12
ــ رقم الدول لابن الخطيب وقد نظم وشرح فى القرن 13
ــ التحفة الوردية فى النحو وقد شرحت فى القرن الرابع عشر ٠
ــ الجوهر المكنون فى البيان للاخضرى وقد شرح فى القرن 14
ــ اختصار ابن ابى جمرة للبخارى « « «
ــ عقود الجمان للسيوطى « « «
ــ نقاية الفنون « « « «
ــ الفية الحديث « « « «
ــ جمع الجوامع لابن السبكى فى الاصول وقد نظم وشرح فى القرن 13
ــ روضة الفهوم فى العلوم النقلية للسيوطى وقد نظم وشرح فى القرن 13
ــ سلم الاخضرى فى المنطق وقد شرح فى القرنين 13 و 14
ــ الكوكب الساطع فى الاصول وقد شرح فى 13 ، 14
ــ الورقات فى الاصول وقد شرح فى 13 ، 14
ــ الخزرجية فى العروض لضياء الدين الخزرجى وقد شرحت فى القرن 13
ــ الفريدة فى النحو للسيوطى وقد شرحت فى القرن 13 ، 14
ــ قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير ، وقد حظيت بعناية كبيرة فى القرن 14
ــ الاضاءة للمقرى فى علم الكلام وقد عنى بها المؤلفون كثيرا فى القرنين 13 و 14
ــ همزية البوصيرى وميميتة وقد شرحتا فى القرن 14
ــ المقصور والممدود لابن مالك وقد شرح فى القرنين 13 و 14
ــ الدرر اللوامع لابن برى فى القراءات : اختصر وشرح فى القرون الثلاثة الاخيرة
ــ موطأ الامام مالك وقد نظم وعنى برجاله فى القرن الرابع عشر ٠
ــ أم البراهين فى التوحيد وقد نظمت فى القرن 12 وشرحت فى 13 و 14
ــ الفية زين الدين العراقى فى السيرة شرحت فى القرن 14
ــ قرة الابصار لعبد العزيز اللمطى شرحت وعلق عليها واضيف فى القرنين 13 و 14

ـ حكم ابن عطاء الله وقد نظمت وشرحت فى القرنين 12 و 14

الآجرومية وقد عنى بها فى القرون الثلاثة الاخيرة ٠

ـ منهج الزقاق فى القواعد وقد شرح فى القرنين الاخيرين ٠

وقد نظم الموريتانيون كذلك امثال الميدانى وشرحوا الامالى لابى على العالى واختصروا الاغانى للاصفهانى وشرحوا دواوين الشعراء الهذليين وشرحوا مختصر السنوسى وتآليفه فى العقائد ونظم التنقيح فى الاصول للقرافى وشرحوا منظومة الاوجلى فى العقائد ، وشرحوا ونظموا ابواب الاحياء وكتاب الاقتصاد للغزالى ، وشرحوا نظم السلطان عبد الحفيظ لمغنى اللبيب ونظم الميزان للشعرانى ونظم متمات الجرومية للحطاب وبداية المجتهد لابن رشد ونظم كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر للعسقلانى وغير ذلك مما يضيق به الحصر فى مجال محدود ٠

● والى جانب المصنفات ، عرفت حركة التاليف فى موريتانيا ما نسميه برسائل او مكاتيب ٠ وهو كما هو معلوم ـ عبارة عن تآليف مصغرة تعالج جزئيات ومواضيع خاصة ٠ وقد تناولت الرسالة الموريتانية اللغة وفقه اللغة والنوازل والشوارد ونحو ذلك ويبلغ مجموع ما ألف على شكل رسائل نحو 200 تاليف أغلبيتها للشيخ ماء العينين ومحمد مولود بن احمد فال والشيخ سيديا الكبير والمختار السالم بن على ٠

◆ ومع ميلاد الرسائل ، أو بعده ، ولد الاختصار ٠٠ ولد فى القرن الرابع عشر ولعل وئد فيه ٠ وقد جاء الاختصار بعد ازدهار التآليف فكرة هو الاخر ـ كالرسائل ـ على طريق تبسيط العلم والسير بسرعة الزمن ٠ وولد الاختصار بشكل ملحوظ لدى محمد يحى بن سليمة ويمكن القول انه توفى معه فقد اختصر مجموعة الكتب التالية : ايقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن للسنوسى وبداية المجتهد لابن رشد الحفيد والتيسير والتسهيل على خليل لعبد الملك الداودى وتكميل منهج الزقاق لمياه وجواهر المعانى لعلى حرازم الفاسى وحاشية محمد بن عرفه الدسوقى ومختصر خليل بن اسحق المصرى وصحيح البخارى وطرد الضوال لسيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم وتحفة الحكام لابن عاصم ومنظومة الشيخ ماء العينين فى الاجتماعيات ، والمنهج المنتخب فى القواعد للزقاق ونصيحة محمد يحيى الولاتى ، ونوازل الكصرى النعماوى ، كما أنجز مختصرين لموطأ الامام مالك احدهما مطول والآخر موجز ٠

◆ ومع الاختصار كان الائمة والاختصاص · وبالطبيعة فلم تكن هناك فى البداية اختصاصات وانما كان العالم الموريتاني يضرب هنا وهناف ويأخذ من كل فن بطرف، ينظم فى كل فن ويؤلف·وكان هناك فقط أئمة اشتهروا ببعض الجوانب دون بعض ، مثل أحمد بن حبيب فى المنوعات فقد قدم فى كتابيه « ايام السنة » « والاعداد » اغزر المتنوعات ، وأحمد بن الشيخ محمد بن احمذى الذى اختصت جل تآليفه بالشرح والتعليق على مصنفات عربية غير موريتانية مثل (بانت سعاد) والفية زين الدين العراقي وحدا بن عرفه فى النكاح وديوان الحماسة لابى تمام وشواهد تفسير الطبرى وقافية رؤبة (وقاتم الاعماق خاوى المخترق) . وقصيدة لبيد (ان تقوى ربنا خير نفل) وقصيدته (عفت الديار محلها فمقامها) وميمية حميد بن ثور الهلالى (الا هيما مما لقيت وهيما) · وبرز فى النظم النظامة عبد الودود بن الحضرمى ومحمد فال بن أحمد فال وأحمد بن محمد الحاجى · ولعل أهم ائمة التأليف فى الحقيقة والتصوف الشيخ التراد بن العباس والشيخ ماء العينين ، وفى القرآن الطالب عبد الله ومحمد محمود بن محمد الامين اللمتوني ، وفى الاجتماعات محمد مولود بن أحمد فال وفى الاختصار محمد يحى بن سليمة ·

وكان هنالك مختصون قلائل ألفوا فى فن واحد مثل أحمد بن البشير الغلاوى فى الفقه ، والوافى فى الطب والبدوى فى السيرة والتاريخ وحماد بن الامين فى السيرة محمد احيد بن سيدى عبد الرحمن فى القرآن ·

◆ ومع الاختصاص كانت هناك تآليف ورسائل تناولت موضوعات خاصة ، كالجيم والمعية والاستعمار والشاى ، والمعادن وكل ما كتب عن هذه المواضيع كتب فى القرن الرابع عشر الذى ظهر فيه الاستعمار وامتار ــ رغم ذلك ــ بتقدم ملحوظ فى حركة التأليف والبحث · ونستطيع ان نستفيد من انتشار الخلاف حول حلية الشاى، الذى اصبح فيما بعد والى اليوم الشربة الوطنية الاولى ، ان دخوله الى البلاد جاء اخيرا فى القرن الرابع عشر الهجرى او فى واخر القرن الثالث عشر ، ونستطيع بذلك الاعتقاد بأن تبادلا تجاريا فى هذه الفترة ــ وهو شيء مؤكد ــ حمل الشاى الى البلاد ·

وتجدر الاشارة الى ان مؤلفات هامة ظهرت الى جانب مؤلفين عمالقة ناجحين وبالنسبة للمؤلفات فهناك كمثال : الميسر لمحنض بابه على مختصر خليل ، وثمان الدرر لعبد القادر بن محمد سالم على المختصر نفسه والوسيلة للمختار بن بونه فى علم الكلام ومراقى السعود لسيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم فى الاصول والمغازى والانساب للبدوى واحمرار ابن بونة على الفية ابن مالك ·

اما بالنسبة للمؤلفين الناجحين فنستطيع الاشارة الى رجال منهم : أحمد البدوى وسيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم فى انتشار مؤلفاتهما الشيخ محمد المامى فى عبقريته الفذة التى ابدعت النظريات الجغرافية فى عهد لم تعرف فيه البلاد معنى متطورا للجغرافية وسيدى عبد الله بن رازقه ، الذى ذاع صيته وانتشر فى المغرب ككل فى قرون سابقة ، وآخرون ٠

• وقد عنى مجموعة من المؤلفين بالترجمة لبعض مشاهير البلاد وظهرت فى هذا المجال مصنفات عديدة بينها : نزهة المستمع واللافظ فى مناقب الشيخ محمد الحافظ لمحمد بن سيدنا الملقب ، بدى (والد الشاعر الموريتانى محمد بن محمدى) ونزهة الغيب والجلاس فى مناقب شيخنا ووالدنا ابى العباس لمحمد الامين بن بدى على حياة والده احمد (وربما يكون هذا التأليف أو فى ترجمة مكتوبة لحياة شخصية موريتانية) وحياة الشيخ محمد فاضل للطالب بوبكر بن أحمد المصطفى ، والسند العالى فى مناقب اليدالى للنابغة الغلاوى ٠

نطوى هذه الصفحة لنبدى ملاحظة بسيطة ، هى أن الشعر ـ وكما هو معترف به ومتعارف عليه ـ قد سبق النثر ٠ وكما كان الامر بالنسبة للمجتمعات البدائية فقد كانت العناية بالشعر وبالتأليف نظما من أبرز ما امتاز به عالم القلم الموريتانى ٠ يكفى لذلك ان تراجع ما اسلفناه وأن نعرف ان بعضهم قام بشرح المؤلفات نظما ونظم شروح المؤلفات والحقائق ـ التقريبية ـ التى اسلفناها فى الحديث عن كل موضوع الف فيه تؤكد ذلك ٠

واذا كان الادب الموريتانى ٠٠ واذا كان التأليف بموريتانيا قد عرف ازدهارا واندفاعا هما فى راينا مثل يضرب ، اذا كانت هذه الحقيقة قد تأكدت فان حقيقة اخرى قد شكلت النهاية المرة أو بداية النهاية ـ لا قدر الله ـ لهذه النهضة ٠ وبدأت النهضة تتدهور ٠٠ ومنيت بانهيار جديد ، وكان وراء كل ذلك شريط متتابع من الاحداث المريرة ٠ كان هناك الاستعمار وكان هناك الحصار الذى اعاد موريتانيا فى عصر العلم والاتصال الى عزلتها ـ وانها لمأساة فاجعة ـ وكانت هناك الطبيعة بما فيها ٠ كان هناك الاستعمار ٠ واذكر أن مؤلفا موريتانيا عاش فى القرن العشرين الميلادى (الرابع عشر الهجرى) وهو العلامة محمد محمود بن يداده يتحدث فى بعض تآليفه عن صعوبة التأليف نظرا لوجود الحاكم الفرنسى كابولانى فى البلاد ، وحيث حشدت طاقات هامة للحد من المد الثقافى وحركة القلم الموريتانى ٠٠ الى جانب ذلك كله كان هناك الحصار المفروض الذى اشترك فيه الاستعمار والطبيعة ، فحجز المد من الخارج

ووضعا عليه حجرا علنا ، ومن وراء الكواليس فى الداخل ٠٠ وكان فى ازمات الحياة فى القرن العشرين ، وخلال الحربين العالمتين وتحت ظل المستعمر ، أيام عاش الموريتانى حياة الانسان البدائى فى مأكله ومشربه ومسكنه وجوانب عديدة من حياته اليومية ، ما ساعد كثيرا على ذلك ٠

وجدير بالملاحظة أن المحاضر (المدارس التقليدية) التى كانت تقوم بمثابة الجامعات يتلقى فيها الطلبة علمهم وتعتبر اداة حية للنشر ومسرحا منتجا للتأليف ، قد اختفت غالبيتها من البلاد ووراء الواقع المرير تحطمت الاشلاء المتبقية ، ولو أن عروقا ظلت تنبض ٠

واكثر من هذه المأساة هناك اعتقاد اكيد يجرنا للقول بأن عددا كبيرا ، ربما يصل الى اضعاف ما ذكر من المخطوطات قد فقد ، فهناك العوامل كلها فى كفة الميزان حيث تجعل امرا كهذا راجحا كل الرجحان ٠ ولندرك كيف يمكن ذلك ، وكيف نستطيع الحكم بأن فقدان الكثير من المخطوطات اكثر من محتمل ، فى ظل اوضاع نهب واستغلال وشقاق وتحت حكم مستعمر لم يجد اخطر عليه من الثقافة المعبرة عن الاصالة فاستهدف القضاء عليها وفى مقدمتها العلم المسطور ٠٠ لندرك ذلك كله يكفى أن نعود الى واقع نتصور بالمقارنة من خلاله كيف سيكون الكثير من المخطوطات الموريتانية قد اندثر ٠٠ اين هى المليون كتاب التى كانت حوتها مكتبة الحكمة ايام هارون الرشيد ، وماذا كان مصير مكتبة نوح بن منصور سلطان بخارى التى اشتملت على حمل 400 جمل ٠٠ وماذا كان مصير مكتبة الواقدى ومكتبة طرابلس الشام التى حوت 3 ملايين كتاب ٠٠ لقد وقعت فى ايدى الصليبيين عام 503 هـ فأحرقوها كما احرق الفرنسيون محتويات مكتبة قسنطينية بالجزائر وكما عبثت الايام بالسبعين مكتبة التى كانت فى قرطبة بالاندلس ، والمكتبات التى قام الكردينال كمنيس ، مطران طليطلة ، بحرقها ٠ ولم يستثن منها سوى 300 كتاب فى الطب اضطر الى الابقاء عليها ٠٠ ثم ماذا وقع لمكتبات الجوامع والملوك والمدارس ٠٠ لقد دخل موريتانيا هى الاخرى ليس فقط مستعمرون لهم اغراض اقتصادية ، وانما كذلك صليبيون ، كم يكونون سعداء اذا استطاعوا طمس بعض معالم العلم ليكسبوا بذلك احدى ضمانات بقائهم ٠ ان المطامع الاقتصادية لن تتحقق بسهولة الا بالقضاء على وعى يستمد مصله ومدده من الثقافة اولا وقبل كل شىء ٠٠ لقد كان على المستعمر أن يحطم اولا وقبل كل شىء الثقافة التى هى العمود الفقرى للاصالة الموريتانية ٠٠ لقد اوغلوا فى الصحراء وبلغوا الاحياء الشعبية قاعدة العلم بموريتانيا ، ولم يحملوا معهم صحافة تنبئنا عما قالوا او فعلوا ، وانما حملوا معهم رجالا يعرفون جيدا كيف يسدلون الستار وكيف يبنون حواجز من

فولاذ . ان كل أمل فى ان يكون هؤلاء المستعمرون قد تفضلوا وتكرموا واعطوا كافة المخطوطات الموريتانية رخصة البقاء وحق اللجوء يتلاشى ويصبح عديم القرائن امام الواقع .

ولقد شبت النار فى مكتبة الاسكوريال العملاقة فاحرقتها بما فيها .. وقد عرفت موريتانيا هى الاخرى كوارث طبيعية حيث لاشيء يحمى من هذه الكوارث وحيث الخيم الواهنة هى دور المكتبات ومستودعات ، بل اننا لا نزال نجدُ ــ بالخبر اليقين ــ ونسمع عن كتب ضاعت فى ماء او حريق . وننظر الى العالم الموريتانى الذى جعل من التأليف مهنة حياته وننظر فى عهد سابق الى علماء آخرين ونتساءل .. ماذا وقع لمائتى كتاب يعزونها لابى عبيدة و 231 للكندى و 200 للرازمى و 400 لابن حزم و 100 للقاضى الفاضل و 1000 لابن حبيب عالم الاندلس ... كل ما وصلنا من ذلك غيض من فيض .. والصورة واحدة .. وموريتانيا جزء من كل واحتمالات الضياع فيها اكثر منها فى أى مكان آخر .

وكما تفرقت المخطوطات العربية الكثيرة لتحضنها مكتبات اوروبا فى بريطانيا وفرنسا وايطاليا وفى الفاتيكان بالاساس ، فان مخطوطات موريتانية هى الاخرى قد لاقت نفس المصير بدون شك . ويكفى ان نعلم انه بمكتبة معهد افريقيا بداكار كان يوجد 4000 مجلد من المخطوطات لامراء فى ان عددا كبيرا منها هو مخطوطات موريتانية .. ويؤكد ذلك انها تعود فى اغلبها الى القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين ، أى بالضبط الى عهد ازدهار النهضة الثقافية بموريتانيا ومن بين هذه المخطوطات ، كمثال اكيد ، تاريخ لمدينة ولاته الموريتانية .

ومع اللحظات الاخيرة لحياة النهضة الثقافية كان هناك موريتانيون هاجروا الى الخارج واستطاعوا ان يطبعوا بعض مؤلفاتهم ومؤلفات غيرهم من الموريتانيين ولعل اهم ذلك ما طبع عن موريتانيا نفسها ، مثل المؤلفات التى طبعت عن الادب الموريتانى واولها (الوسيط فى تراجم ادباء شنقيط) للمؤلف الموريتانى احمد الامين دفين القاهرة . وفى ميدان الادب تجدر الاشارة ايضا ان كتابين آخرين احدهما من تأليف الاديب اللبنانى محمد يوسف مقلد وهو « شعراء موريتانيا» والثانى كتيب صغير وان كان قد حمل فى غضونه بشرى بعث ودراسة هامة حول تطور الادب فى موريتانيا وهو من تأليف الصحفى الاستاذ احمد بن احمد رئيس مصلحة الوثائق بالشركة الوطنية للصحافة والنشر ولعل هذا الكتاب هو آخر ما ألف فى الموضوع وطبع ونشر فى البلاد ، كما أن

الطلبة الموريتانيين قد كرسوا عددا من أطروحاتهم ورسائلهم لدراسة قضايا الثقافةوالادب فى موريتانيا .

ونشير بالمناسبة الى أن المطابع التى جاءت حدثا هاما فى تاريخ الكتاب وثورة ثانية فى هذا التاريخ ، والتى عرفت طريقها الى الكثير من بلدان العالم والبلاد العربية فيما قبل القرن العشرين ، لم تصل الى موريتانيا الا فى الستينات ، وقد بدأت اخيرا تضطلع بدورها فى النشر والاشعاع وبدأت الصحافة تشق طريقها فى هذه المطابع بشكل طبيعى ، بعد ظهور اول صحيفة يومية سنة 1975 ...

كما بدأت أجهزة الدولة تهتم باحياء التراث الوطنى ، حيث قامت مكتبة الوثائق برئاسة الجمهورية بتجميع عدد هام من المخطوطات الموريتانية ..

وقام المعهد الموريتانى للبحث العلمى فى سنة واحدة (1976) باحصاء وجمع اكثر من 4000 مخطوط موريتانى ..

والخطوة القادمة ستكون ابراز هذا التراث الغنى والمتنوع الى النور ، ليأخذ مكانه فى كل المكتبات العربية ...

صوت العرب *

شعر : محمد سالم بن عبد الودود

ليس للرجعي فينا من نسب — كل رجعي دعي في العرب
لم نزل في الشأو نمشي قدما — ليس يلهينا لغوب ونصب
....

* * *

كم تفرقنا زمانا شيعا — فتوحدنا لشر مرتقب
كم خمدنا ثم ثارت نارنا — من شرار كامن تحت الحطب
نبضة قلبية من يمن — أنبضت من مصر قلبا فوجب
ثم أصغى من هنا أو هاهنا — كل قلب عربي فاقترب
عدن كارهة قد ادمجت — في إمارات الجنوب الملتهب
وفلسطين لنا غائبة — بقطاع عربي مغتصب
قاسم اقسم لا يصحبنا — سوف يرضى قاسم بعد الغضب
سحب قد عكرت أجواءنا — سنرى الشمس اذا الغيم ذهب
....

ان يقل مستعمر : من انتم ؟ — قلت ـ واسمي سالم ـ نحن العرب
ليت شعري هل ترى بين العرب — وحدة تبقى على مر الحقب ؟..
قوة ذرية ضاربة — ما لها بالشرق والغرب سبب

(*) نظمت هذه القصيدة في أوائل الستينات ، وما ننشره هو مقاطع من القصيدة .

م. س. ب. ع.

ديلول ... الأميّ الحكيم

كان « ديلول » رجلا يتمتع بسرعة البديهة ، والذكاء المتوقـد ، والفطنـة الخارقة ، والقدرة الفائقة على الكلام ومخاطبة الناس .. الشيء الذي مكنـه من ان يحتل مكانة مرموقة حفظت له اسمه بين الاجيال .. و « ديلول » هذا كان منميا من منطقة لبراكنة (الولاية الخامسة) يسكن في جنوب موريتانيا على حدود (الولاية السادسة) ويوجد الآن ضريحه في موضع يسمى (غـرد الزبـد) قرب (الطـويلة) التى تبعد 17 كيلومترا شمال شرقى العاصمة ، على حد قول مقابل اقوال أخرى مختلفة .

وقد حفظ التاريخ لصاحبنا طرائف وملحا وحكايات خفيفة وحكما كثيرة ، يرددها الاطفال ، ويتسامر بها الشبـان ، وتحتـل الصـدارة فى مجـالس الكهول ...

والحقيقة ان الناس قد بالغوا كثيرا فى الحكايات الشعبيـة المنسـوبة الى « ديلول » حتى انك تصادف فى كثير من الاحيان اساطير خرافية وخارقـة للعادة ، وحتى غير طبيعية تنسب الى شيخنا الوقور .. وذلك ان كل انسان يسمع عن « ديلول» قصة ، فيغير صيغتها حسب ما يحلو له ويضيف عليها من خياله ما شاء الله .. الا انه من المؤكد ان اكثر الحكايات التى تتردد الآن فى الاوساط الشعبية الموريتانية والتى تنسب اليه صحيحة أصيلـة . وان كانت قد اجريت عليها تعديلات كثيرة .. والجوهر هو الجوهر ..

كان « ديلول » بالاضافة الى الصفات التى ذكرنا آنفا ، يتمتع بخيال خصب، وهو يمثل بصدق البدوى الحقيقى ، فهو قوى الملاحظة ، دقيق الفطنة ، حاضر البديهة .. وفيما يلى نقدم للقراء بعض الحكم التى تنسب الى « ديلول » والتى نعتبرها واقعا او قريبة من الواقع ..

● يحكى أن شيخنا الذى قضى زمنا طويلا راعيا ومنميا للغير ، يتعب ، ويكد ويجد ، مكبوت الحرية محتقرا ، قد حصل على ناقة بعد معاناة طويلة ، فلما حلبها وضع لبنها فى اناء وذاقه على مرآى من الجميع وهـو ينظر يمينا وشمالا ويهز رأسه ويقول :

« سبحان الله ! ما احلى هذا » . والحقيقة ان هذا اللبن ليس أطيب طعما من لبن النوق لدى الجميع ، وليست هذه هى اول مرة يتذوق فيها « ديلول » لبن الابل لانه يعمل راعيا للابل ، كما ان ديلول لم يكتشف بالقطـع طعمـا جديدا أخص الله به لبن ناقته عن باقى النوق الاخرى ، ولكن الرجل الحكيم أراد فقط ان يلفت الانتباه الى حلاوة ذلك الطعم الذى لا يتذوقه الانسان الا فى ماله الذى حصل عليه بعرق جبينه بعد كثير من التعب والعمل والجـد والكد والمعاناة ...

● ويحكى ايضا ان جماعة من اهل العلم والمعرفة سألوا حكيمنا ذات يوم عن اداء الصلاة هل هو افضل قبل الوقت العادى ام بعده ؟

فما كان من « ديلول » الا ان اعتدل فى جلسته مثل الفقيه الخبير وكأنـه يحاول ان ينسق شتات معلومات متناثرة فى زوايا مختلفة من ذاكرته ، واذا بالجواب حاضر عنده بديهى لديه :

« اعتقد ان اداء الصلاة افضل بعد الوقت العادى ، لان موقفكم هذا قريب من موقف من يبحث عن ضالته .. فاذا جاء من ورائها كان من السهل عليه ان يصادف اثرها فيسلكه فيكون عثوره عليها مؤكدا او شبه المؤكد اما اذا جاء من أمامها فيكون أمله فى العثور عليها ضئيلا شبه مستحيل .. وعليـه فاننى اعتقد انه من الافضل اداء الصلاة بعد الوقت العادى » فدهش الجميع لحكمة شيخنا وسرعة بديهته وجوابه « المقنع » !

تعريف

الجمهورية الاسلامية الموريتانية

تقع موريتانيا فى غرب القارة الافريقية ، وبالتحديد فى الجزء الغربى من الصحراء الكبرى حيث يمر مدار السرطان فى الجزء الشمالى منها •

وتقع بين درجة 16 و 27 من درجات العرض الشمالى ، ودرجة 5 و 17 من درجات الطول الغربى • وتتمتع بشاطىء أطلسى يبلغ طوله حوالى الالف كيلومتر •

كما أن مساحة هذا البلد البالغة نحو 102.000 كم2 تجعله من أوسع معظم البلدان الافريقية على عدد من السكان يوازى المليون والنصف من البشر •

فموقع موريتانيا بين المغرب العربى ، وبين افريقيا السوداء يعطى هذا البلد طابعين متميزين ، ففى قسمة الشمالى الذى تغطيه الصحراء والذى يجاوز مالى والجزائر والمغرب ، يشكل البدو الحياة الاساسية ، وذلك عكس القسم الجنوبى المجاور للنهر والسنغال حيث يتكون غالبية السكان من المزارعين ومن الافارقة السود البالغين نسبة 30 % تقريبا •

وفى المجال الثقافى فان اللغة الرسمية هى العربية والفرنسية ، اما المستعملة فلهجة عربية ترك البربر والسود شيئا من طابعهم فى مفرداتها ، ويسمونها « الحسانية » الى جانب لهجات افريقية أخرى كـ « البولارية » و « السرقلاوية » •

وفى مجال الاقتصاد لا تزال الصناعة غير موجودة اذ أن غالبية السكان متكونة من مربى الماشية وصغار المزارعين •

يشكل الحديد والثروة البحرية المورد المالى الهام للتصدير •

حصلت موريتانيا على استقلالها فى 28 نوفمبر 1960 ، بعد خمسين سنة من الاحتلال الفرنسى لم يعرف البلد خلالها تطويرا يذكر •

والمناخ حار بوجه عام لكن الحرارة تختلف من فصل الى فصل ، ففى الشتاء (دجنبر يناير فبراير) يكون البرد شديدا نسبيا اما فى الصيف (ابريل ومايو ويونيو) فان الحرارة تكون شديدة أحيانا •

وفى فصل الخريف (يوليو اغشت شتنبر) فهناك مزيج من الحر والاعتدال بسبب الامطار التى تلطف من سخونة الجو •

ا ـ ب ـ س

موريتانيا عبر التاريخ

1 ـ الفتح الاسلامي :

دخل الاسلام أرض موريتانيا في أوائل القرن الثاني الهجري مع حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع عندما غزا الصحراء الكبرى ، واستمر الاسلام يمتد حتى بلغ أوجه في عهد المرابطين في القرن الخامس والسادس الهجريين (I) ·

وقد لعب المرابطون دورا إيجابيا في نشر الاسلام وكانت عاصمتهم أزوقي وهي تبعد عن مدينة أطار الحالية 7 كم تقريبا ، وقد أندرست·

2 ـ الحركة المرابطية :

تطلق كلمة المرابطين على صنهاجة الصحراء وهم أربع قبائل : ڤدالة ، ولمتونة ، ومسوفة ، ولمطة ·

أما اڤدالة ومعناها بالبربرية « أهل الساحل » فكانوا يسكنون قرب البحر ·

وكانت لمتونة تسكن في منطقة آدرار ومعنى الكلمة سلسلة الجبال وهي سلسلة جبال أطار الحالية ·

وكانت مسوفة تسكن في الوسط (سلسلة جبال العصابة) تيفانت حاليا ·

(I) معلومات مستقاة من السيد المرابط بن ببانا وهو أحد الموريتانيين المهتمين بالتاريخ وخاصة ما يتصل منه بالمد الاسلامي ·

أما لمطة ولعلها تحريف لفظة « المدن » الحالية ، تلك القبيلة الطارقية المشهورة فانها كانت ولا تزال الى يومنا هذا تسكن فى مالى (السودان) (2) ٠

لقد بدأت هذه القبائل تحركاتها نحو الصحراء الغربيةحوالىالقرن الرابع للميلاد حيث اصطدموا بالعناصر السود فاحتلوا آدرار موريتانيا وآدرار ايفوغاس منأرض الجزائر متجهين حتى أقصىالمناطق المدارية ، ويتساءل الدارس عن هذا الغزو الصحراوى للمناطق القاحلة فى الوقت الذى نجد فيه مناطق خصبة مجاورة فى المغرب ٠

لعل السبب فى ذلك هو ضعف القوة الهجومية للمرابطين سكان الواحات وخطورة مصامدة المغرب الذين كان المرابطون اذ ذاك يخشون بأسهم ، وقد استقر هؤلاء المصامدة فى نفس الوقت تقريبا فى اطراف المغرب الجنوبى السفوح الصحراوية للاطلس الكبير والمتوسط ٠

ومن الامور التى ساعدت على توغل المرابطين فى الصحراء : الفتح الاسلامى ، ووجود الآبار ، تلك التى حفرت بأمر من العامل الاموى فى الاندلس عبد الله بن حبيب الامر الذى ساعد على التوغل ٠

ويكون هؤلاء الصنهاجيون الذين يطلق عليهم أحيانا اسم « الملثمين » ، قبائل كثيرة متفرقة تمتد من منطقة غادس الى الاطلس ومن جنوب المغرب الى تخوم السنغال والنيجر ٠

وكانت هذه القبائل دائمة الاتصال بجنوب المغرب ، ويبدو أن أقوى قبيلة هى قبيلة لمتونة التى كانت تسكن آدرار (الاقليم الموريتانى) ٠

اتخذت هذه القبائل منذ القرن التاسع ميلادى داخل مجموعة قوية مكونة من لمتونة القاطنة آدرار فى الشمال وقدالة المجاورة لتخوم المحيط والسنغال ومسوفة فى الوسط (منطقة العصابة حاليا) (3) ٠

---

(2) عن المختار بن حامدون المؤرخ والاديب الموريتانى المعاصر ٠

(3) هذا التمركز كان قبل دخول قبائل معقل ، فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ميلادى ٠

ويظهر أن ظروف الحرب والدفاع المشترك هى التى دفعت هذه القبائل الى الاتحاد .

ففى عهد تيلوتان اللمتونى الذى مات سنة 826 م سجل الصنهاجيون انتصارات حاسمة على ممالك السودان وخاصة مملكة غانا القوية ،ففرضوا نفوذهم على هذه الممالك واتخذوا أوداغست « حاضرة » لهم .

وقوة المرابطين (صنهاجة موريتانيا) لا تفسر بانتصاراتهم العسكرية فقط ، ففى القرن التاسع ميلادى أهملت الطرق التجارية المؤدية الى مصر من مملكة غانا وذلك لتراكم الرمال وانتشار اللصوصية ، فاتخذت هذه التجارة الطرق الصحراوية المطلة على الاطلسى والتى تصل حتى جنوب المغرب ، وقد صارت سجلماسة اثر تأسيسها سوقا كبيرة تجلب التجار من الشرق وصار الذى يبسط نفوذه على الممالك السوداء وعلى الصحراء الغربية لا شك أنه سيجنى أرباحا عظيمة من هذه التجارة سواء كان مكلفا بحمل البضاعة أو بفرض الضرائب على القوافل المارة .

وقد ظلت هذه القبائل متحدة حتى اغتيال ابن وخلف تيلوتان خلال ثورة داخلية فصارت كل قبيلة تعيش معتمدة على نفسها . واذا كانت الممالك السود قد استرجعت استقلالها فان الصنهاجيين ظلوا أرباب الصحراء .

وحوالى سنة 1040 م اتحدت من جديد وللمرة الثانية لمتونة وقدالة ومسوفة بغية تنسيق المقاومة على السود . وكانت الرئاسة بالتناوب بين اقدالة ولمتونة .

وفى هذه الفترة سجل الامير تالشينه عبد الله بن تفاوت بعض الانتصارات إلا أن السود قتلوه واستولوا على أوداغست عاصمة الصحراء .

والمتتبع لهذه الفترة يلاحظ أن بداية هذا الاتحاد كانت صعبة وقد كرس جهوده لمشاكل الجنوب ، ولم تكن هناك ارهاصات تدل على الاتجاه المقبل للصنهاجيين وما اذا كانوا يريدون غزو المغرب ...

ومع ظهور رجلين عظيمين هما يحيى بن ابراهيم اللمتونى الذى خلف تالشينة وعبد الله بن ياسين الفقيه المغربى تغير الوضع .

حج يحيى بن ابراهيم ودعوة عبدالله بن ياسين

ينتمي يحيى الى قبيلة اقدالة وعلى إثر وفاة تالشينة اللمتوني تولى زمام الامر وتزوج بلمتونية ونظرا لعدم استقرار الاحوال داخل هذه القبائل قرر يحيى بن ابراهيم الذهاب مع جماعة من رؤساء القبائل إلى الديار المقدسة . وخلال حجه هذا تبين لهذا الزعيم الصنهاجي تأخر إسلام بني قومه فأحس بضرورة اصلاحات دينية ، ولدى عودته توقف بمدينة القيروان وطلب من الفقيه أبي عمران الفاسي منشأ . والقيروان موطنا : أن يوجه معه احد تلاميذه فامتنعوا فنصحه الفقيه أن يمر على وجاج بن زلو اللمطي (وقد مر بنا أن عرفنا هاته القبيلة) المدرس بملكس بوادزين فعين هذا الاخير وجاج تلميذه الصنهاجي ، عبد الله بن ياسين القدالي ، فلقن القوم التعاليم الاسلامية ومبادىء العربية كما حارب بعض المظاهر الجاهلية الا انه لم يكن دائما المثل الذي يحتذى في سلوكه فقد أخذ عليه أنه كان مطلاقا .

على كل اتبعت تعاليم ابن ياسين ما دام يحيى بن ابراهيم حيا بالقوة ولم يتمكن القائد الجديد يحيى بن عمر بعد يحيى بن ابراهيم من حماية الفقيه الذي طرد وانتهب ، فانزوى الفقيه والقائد وبعض الاتباع في جزيرة حيث أسسوا رباطا للعبادة ومنذ هذا الحدث بدأ تاريخ أهل الرباط أو المرابطين .

ا - ب - س

تم ملف الأدب الموريتاني

حطاب وهم ...

شعر : مصطفى عطا الله

يدور حبى فى رحى الزمان ببيدبا والحرب والفرسان
وغابر القصور دار فيه دم الغوانى ودم الرمان
وخاصرات مجن فى الحرير بين سباة الماء والحرير
بحادر ومائس وثير مغبة العيون والبنان

* * *

سر حثيثا لا تقف فى محطات الصدف
بئس ما أوقفنى شكل نهد أم كتف ؟

* * *

افلق فى الآفاق خرق برق فيالق تدفقت من شرق
تفارقت ترافقت بنسق ادركت من تركت بالتدانى
وجها لوجه ناسك قببى وفارس سرجه من ذهب
اسل سيف أم شذا بخور عويل بطش أم هتاف فانى

* * *

حسرتى على السلف بين قرطاس ودف
كلما جد جديد كان جدا لخلف

★ ★ ★

حتى اذا كبا الجواد العاتى وانفجرت كوكبة الغزاة
وغالب جثا على مغلوب وعضم الزمان كل آت
نكرة بن صعلوك الطريق أودى بتيم أم بمنجنيق ؟
تلابس الغث مع العريق واسفر الفحم عن الجمان

★ ★ ★

رب فولاذ يشف ورياء ينكشف
حولنا ليل وبدر آبنوس وصدف

★ ★ ★

سألت «ڤڤرين» حين اسرى والليل بئر والنجوم زهرا
وقمر أصفر كالكمثرى : أتنتهى ارجوحه المعانى ؟
لا تعتبر بعبرة الجمال والحق معكوس على المحال
ما ان توارى حسنها ببالى حتى تراءى لى جمال ثان

★ ★ ★

اختفى عنا الهدف اذ نسمى ما نصف
والهوايا والسجايا والنوايا تختلف

★ ★ ★

بمهرجان الشكل والالوان وقيل: قال سيد البرهان...
وملتقى قوافل الحيارى تلابس القرون والثوانى
ايان لى فى الآن مستقر فر الى الامام مستمر
ثم معاد جارف وكر سفينة لا تعرف الموانى

★ ★ ★

لا لـــلام لا ألـــــف لا لــنعـــم لا نـعـــم
قـــص دوار الـقـلــــم والمـــداد لـم يجــف

★ ★ ★

قهــرتنى يا زارع النجــوم ومنجـم الحنظـل والكـروم
مهما تناهت بشرتى كثوفـا تبخرت كالطـل فى أتـون
اغريتنى بالـذهب القـديم وباتصـال الحـب بالنسيـم
وها انا فى هيكـل سقيـم اتيه فى مـروج الأقحـوان

★ ★ ★

آن لـــى ان اعتــــرف أوصـدوا هــذا الملــف
جئتكـــم حطـــاب وهـــم فــذرونـى انصــرف !

★ ★ ★

• **محمد معدن الايمان :** هذا كتاب آخر من سلسلة « شخصيـة محمـد » (ص) التى تصدرها الدار التونسية للنشر للكاتب المختص بدراسة سيـرة الرسول وصحابته . واعلام الاسلام وهو الاستاذ محمود شلبى الذى تنـاول ذلك بأسلوب سهل مشوق حسب المعطيات الحديثة للعصر الحـاضر مواكبـا الروح العلمية لتربية الأجيال تربية واضحة صحيحة .

لقاء مع

محمد مزالي

وزيرًا ... وأديبًا ...

تتوقف طويلا وانت تقلب صفحات حياته باعجاب (*) ٠

أهم ما يلفت اهتمامك تعدد نشاطاته وتنوعها فى خدمة وطنه تونس ٠

تولى منصب وزير لعدة وزارات (وزيرا للدفاع الوطنى ٠٠ ثم وزيرا للشباب والرياضة ٠٠ ثم وزيرا للتربية القومية والشباب والرياضة ٠٠ ثم وزيرا للصحة) وهو الآن يتولى منصب وزير التربية القومية ٠

★

هذا جانب من جوانب صورة الرجل على المستوى العملى الذى قد لا يعرف اسمه من خلاله أولئك الذين ينحصر اهتمامهم فى الحياة فى القراءة ٠٠ ومتابعة المجلات الثقافية والفكرية التى تصدر فى العالم العربى وخاصة من خارج بلده ٠٠ لكنهم سيبادرون الى ذكر اسمه اذا علموا انه صاحب ٠٠ ومؤسس مجلة « الفكر » التونسية التى تصدر منذ أكثر من 20 عاما مع مطلع كل شهر دون توقف ٠٠ انه الاستاذ محمد مزالى ٠٠ وهذا جانب آخر من صورة الرجل خصوصا اذا عرفنا ان له عددا من الكتب التى ألفها ٠٠ وترجمها ٠

وبمطالعة ترجمة حياة الاستاذ مزالى المنشورة مع هذا الحوار الذى اجريناه معه فى مكتبه بوزارة التربية القومية فى تونس رغم مشاغله العديدة تكتمل أمام القارىء العربى كل جوانب صورته ٠٠ وشخصيته بنشاطاتها المتعددة ٠

(*) نشرت مجلة « الفيصل السعودية » فى عددها الثانى بتاريخ جويلية 1977 استجوابا للاستاذ محمد مزالى نورده تعميما للفائدة (الفكر) ٠

تـوحيـد المنـاهـج التعليميـة فـى البـلاد العـربيـة

بداية حوارنا معه بصفته احد وزراء التربية والتعليم فى العالم العـربى كان حـول قضيـة توحيـد المنـاهج التعليمية فى البلاد العربية٠٠ والافكار المطروحة لتحقيق هذا الهدف على المستوى الرسمى ٠٠ فتحدث قائلا :

« اجتمع وزراء التربية العرب اربع او خمس مرات ٠٠ ودرسوا فى مقدمة ما درسوا مسألة توحيد المناهج التعليمية فى البلاد العربية ، ووضعت كذلك المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مخططا لنفس الغرض وذلك لادراك كافة المسؤولين بخطورة التربية والتعليم فى إيجاد أجيال متجانسة فى التفكير٠٠ والثقافة وداعية بما يربط مختلف انحاء الوطن العـربى من أواصـر روحيـة وحضارية قادرة على العمل من اجل الوحدة العربية الاسلامية ٠

وتوحيد مناهج التربية والتعليم من شأنه كذلك ان يقضى على ما أورثه فينا الاستعمار من انماط التفكير غريبة فى بعض الاحيان عن واقعنا ، وما أورثـه فينا كذلك من جهل بعضنا للبعض الآخر مما نتج عنه متناقضات ومؤثـرات أحيانا حالت دون وحدة الصف وتوفير اسباب المناعة الحقيقية ٠

لكن الواقع هو اننا لا نزال فى اول المطاف وكل مـا سجلنـاه الى الآن هو شىء من التقارب والتعاون بين بعض الاقطار العربية مثل ما هو موجود اليوم بين اقطار المغرب العربى الكبير ٠

ومن حيث منهجية العمل فانه لا بد من التواضع ٠٠ واعتبار المـراحل ٠٠ ولذلك يحسن التعرف قبل كل شىء على واقع التعليـم بدرجـاته والقيـام بدراسات وبحوث لضبط ما قطعته مختلف البلدان العربية فى ميدان تعميم التعليم وبرامجه وأساليبه التدريسية ، وتكوين المعلمين والاساتذة ٠

ولكن ما دامت العزيمة متوفرة فان الامل معقود على بلـوغ هـذه الغـاية البعيدة ويا حبذا لو اكثرنـا من تبـادل الزيـارات بين المسؤولين على كافـة المستويات سواء بين الـوزراء واعضادهم ، او بين الجامعـات والاسـاتذة ، والمفتشين وغيرهم ، وكل من صار على الدرب وصل » ٠

وسائل التربية في العالم العربي

امتدادا لحوارنا عن قضية توحيد المناهج التعليمية فى البلاد العربية سألنا الاستاذ «زالى عن الاستجابات ٠٠ او التفاعلات الايجابية الصالحة التى يمكن ادخالها على وسائل وطرق التربية فى اطار المجتمعات العربية بخصائصها وفى ظل المتغيرات الاجتماعية ٠٠ والثقافية العالمية المفروضة بحكم الاحتكاك وتعدد وسائل الاتصال بالعالم الانسانى ٠٠ وامام التطور الرهيب فى عالم المستحدثات ٠٠ والاختراعات ٠٠ والتقنيات الجديدة ٠٠ وما هى ابعاد تصوره لنتائجها سلبا ٠٠ او ايجابيا ٠٠ وقد أجاب بقوله :

« نحن نعيش فى الربع الاخير من القرن العشرين فى عالم زالت منه ، او كادت المسافات ، واصبحت كل اجزائه متضامنة ٠٠ متأثرة بعضها ببعض ، ونحن نعيش فى عالم سادت فيه العلوم وطغت التكنولوجيا بحيث اصبح من الصعب البقاء فى عزلة ، او شبه عزلة عما يجد من جديد فى كل القطاعات والميادين ٠ ولهذا يتعين على النظام التربوى ــ اى نظام تربوى ــ ان يتطور وان يتلاءم مع كل المستحدثات والاختراعات والتقنيات الجديدة ٠

والذى يجعل هذه المهمة صعبة أكثر من أى وقت مضى هو ان سرعة التطور العلمى والتكنولوجى اقوى بكثير من قدرة النظام التربوى على التغير مما جعل رسالة المربى عسيرة ، لان التلاميذ اصبحوا يستمدون من الوسائل السمعية البصرية الحديثة وخاصة منها الاذاعة والتليفزيون من المعلومات والبيانات والمعطيات ما لا توفره لهم المناهج الرسمية فى كل المدارس ٠ فهل استطاعت مناهج التعليم اليوم مثلا ان تبين وتوضح لجماهير الشباب كيف وطأت اقدام الانسان سطح القمر فى يوليه 69 او كيف استطاع الانسان اليوم ان يرسل المركبات الفضائية الى المريخ ويسبر اغوار هذا الكوكب مثل ما يشاهد كل هؤلاء الشبان ذلك مباشرة فى غالب الاحيان من خلال البرامج التليفزيونية بالالوان ، وقد نتج عن هذا ان التلاميذ زادوا شغفا بهذه الوسائل السمعية البصرية ، وربما شعروا بشىء من السآمة والرتابة من جراء استماعهم الى الدروس التقليدية ولهذا يجب ان تتطور الانظمة التربوية بسرعة ، وهذا لا يكون الا اذا تطور القائمون على التربية انفسهم ، وتطور كذلك رجال التعليم ٠

ان المعلومات التى تحصل للشباب عن طريق غير طريق المدرسة ليست كلها حقا وخيرا ، وليست تتلاءم جميعها مع ما يناسب هؤلاء الشباب ٠ ولكن نحن مضطرون الى ان نعيش عصرنا والى ان نربى ابناءنا بصورة ذكية حتى ينشؤوا نشأة قومية صحيحة ٠٠ ونشأة عصرية قويمة ، ويكون الواحد منهم كما يقول المثل العربى القديم : (فى النار ولا يحترق) ٠

ونحن فى البلاد العربية احوج من غيرنا الى سلوك هذا الاتجاه واخذ انفسنا بهذه الطريقة لان المدرسة تلعب فى مجتمعاتنا دورا اخطر بكثير مما تلعبه المدرسة فى الدول الغربية ، وذلك لان العديد من أولياء أمور الشباب فى ربوعنا ما زالوا فى مستوى الأمية اى عاجزون عن مواجهة مقتضيات تربية أبنائهم بما يحتمه العلم ويقتضيه العصر وتفرضه الاخلاق الصحيحة » ٠

التعريب ومشاكله

قضية التعريب فى المغرب العربى ـ هى قضية مصير ٠ ٠قضية مجموعة من اخواننا واشقائنا العرب حاول الاستعمار بكل وسائله ان يسلخهم من عروبيتهم ويفصلهم عن أمتهم العربية والاسلامية ٠٠ عن طريق تجهيلهم بلغتهم التى تمثل ابرز عناصر انتمائهم الى اهلهم وبنى عمومتهم عرب المشرق وبالتالى عزلهم عن تراثهم ٠٠ وحضارتهم ٠٠ وتاريخهم العربى ٠٠ ولا نعتقد ان عربيا يجهل ما تعانيه بلدان المغرب العربى فى سبيل التعريب لكنه قد لا يستوعب حجم هذه المعاناة٠٠ وما يبذل فى شأنها اذا لم يقدر له زيارة هذه البلدان٠٠ زيارة معايشة ودراسة فاحصة ٠ هذا فيما يخص قضية تعريب التعليم فى المغرب العربى ٠٠ وللقضية جانب آخر تشترك فيه كل البلدان العربية ومغربيها ٠٠ ومشرقيها يتمثل فى اختلاف المصطلحات العلمية٠٠ والعسكرية٠٠ والفنية وغيرها ٠

وقد سألنا الاستاذ مزالى عن حجم النجاحات التى حققها المغرب العربى فى سبيل التعريب من ناحية ٠٠ وعن السبل التى يرى انها تساعد على ايجاد تنسيق عملى

فعال لتوحيد المصطلحات العلمية ٠٠ والعسكرية ٠٠ وغيرها من المصطلحات السائدة فى الوطن العربى الكبير من ناحية اخرى ٠٠ فاجاب :

« لقضية التعريب جانب تاريخى هام لا بد من التذكير به ٠ ذلك ان قضية التعريب وجدت منذ استقلال بلادنا سواء فى تونس او الجزائر او المغرب بسبب السياسة الاستعمارية التى فرضت علينا تعلما اجنبيا روحا ولغة وحضارة مما نتج عنه تكوين اجيال متعاقبة تكوينا اجنبيا لغة ٠

ولهذا سعينا عند الاستقلال الى تعريب البلاد وتعريب التعليم خاصة بطريقة مرحلية نوفق بها بين :

أولا : ضرورة تأصيل التعليم وجعله عربى اللسان ، اسلامى الحضارة ، قومى الاتجاه ٠

وثانيا : الحفاظ ، بل الرفع من مستوى التعليم من الناحية العقلية والعلمية والتقنية خاصة ٠ والصعوبة تمثلت بالخصوص فى تكوين المكونين وايجاد الاطارات (الكوادر) الكفاة القادرة على اصلاح التعليم وبالخصوص تعريبها ٠

ونستطيع ان نقول اليوم ان تعريب التعليم لم يعد قضية مبدأ أو اختيار لانه لا يوجد تونسى واحد يناقش فى ذلك وانما هى قضية مراحل وامكانيات٠

ونحن فى تونس نحمد الله اننا قطعنا فى هذا الطريق اشواطا ذات بال ونحن نواصل هذا العمل بكل موضوعية وتصميم ٠

أما مسألة توحيد المصطلحات العلمية والعسكرية وغيرها من المصطلحات فى العالم العربى فهى قضية هامة وخطيرة ٠ واعتبر ان اجتماعات وزراء التربية والتعليم العرب يجب ان يضعوا فى المقام الاول من مشاغلهم هذا الموضوع لان التعريب ضرورى ولكن يجب الا يؤول بنا الامر الى فوضى لغوية فنتكلم جميعا عربيا ولكن تختلف المفاهيم والكلمات من قطر عربى الى قطر عربى آخر ٠

والواقع ان خطوات محتشمة ولكنها ثابتة قطعت فى هذا الميدان ٠ ذلك ان وزارات التربية فى بلدان المغرب العربى الكبير قد توفقت الى انجاز ما اصطلح عليه بـ (الرصيد اللغوى الوظيفى) وهو مجموعة من المفردات

العربية الفصيحة او الجارية على قياس كلام العرب التى تؤدى مفاهيم الطفل العربى فى سن معينة . تلك المفردات التى يحتاج اليها الطفل والتى يحسن ان يلم بها اثناء السنوات الاولى من التعليم الابتدائى حتى يتسنى له التعبير عن الاغراض والمعانى العادية المستعملة فى التخاطب اليومى وكذلك التعبير عن المفاهيم الحضارية العصرية .

ان هذا الرصيد اللغوى انجز بالنسبة للسنوات الثلاث الاولى .. هو اذن قدر مشترك من المفردات بين اقطار المغرب العربى الثلاثة (تونس والجزائر والمغرب) وضبط بعد سنوات طويلة من البحث المضنى الطويل النفس الذى قام به منذ عام 1966 ثلة من الاساتذة والاخصائيين التونسيين والجزائريين والمغاربة . وذلك حسب المقاييس العلمية التالية :

1 – توفر المفردات .. اى نسبة تكرارها .

2 – التوزع الجغرافى فى الاقطار المغربية .

3 – الالتزام باختيار مفردة واحدة لكل مفهوم تحاشيا للحشو والترادف.

4 – اعتبار الالفاظ الكافية عند التلميذ .

5 – اجتناب القطيعة فى المكان والزمان ومعنى ذلك ان هذا الرصيد روعى فيه ان يكون عربى المحتوى (لا تونسيا صرفا) لا يقطع الصلة بالماضى (الزمان) ولا بالبلدان العربية الاخرى (المكان) .

وقد التزمت وزارات التربية الثلاث بالاقتصار على استعمال هذه المفردات دون سواها (حوالى 7000) سبعة آلاف مفردة ، ومطالبة كل مؤلفى الكتب المدرسية باستعمال هذه المفردات دون غيرها ، وسيجتمع فى الايام القادمة بتونس خبراء البلدان الثلاثة للقيام بنفس العمل بالنسبة للسنة الرابعة الابتدائى .

وهكذا نرى اننا بدأنا عملا لغويا توحيديا اساسيا ينطلق من السنة الاولى ابتدائى ويتدرج بتدرج الطفل فى بقية السنوات الاخرى من التعليم الاساسى .

ونحن نعتقد ان هذا العمل عظيم الفائدة ، بعيد الخطورة لانه سيضمن بحول الله وحدة ثقافية وحضارية مبنية على أساس الوحدة اللغوية المنسجمة .

ونظرا لنجاح هذه التجربة ادرجت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للجامعة العربية مشروع حصر الالفاظ فى مستوى الابتدائى فى البلدان العربية كلها ، وانعقد اجتماع لهذا الغرض ، ووقع تبنى المنهجية التى اتبعت فى لجنة الرصيد اللغوى فى بلاد المغرب العربى ٠

هذا عمل أساسى بدأناه كما ترى من الاساس لكن أنا شخصيا أحبذ أن تقوم المجامع اللغوية بدورها بمثل هذا العمل لا فى حدود القطر الواحد كما هو الحال الآن بل فى مستوى عربى وربما يؤدى بنا هذا الى الحديث عن مجمع لغوى عربى يكون ممثلا لكل الكفاءات العربية فى كل الاقطار وذلك الى جانب ما تقوم به المجامع الموجودة اليوم أو المجامع التى قد تبعث الى الوحدة فى بلدان عربية أخرى » ٠

الثقافة والعالم الثالث

وعرج حوارنا مع الاستاذ مزالى الى الثقافة فسألناه عن خصائص الثقافة الانسانية القادرة على صنع متغيرات نهضوية ٠ ٠وتقنوية داخل ما اصطلح عليه بالعالم الثالث ٠٠ أو النامى ٠٠ وعن هذا السؤال أجاب :

« طبعا أهم خصائص هذه الثقافة الانسانية الضامنة للنهضة والتنمية هى التكوين العلمى والتقنى الصحيح والقدرة على هضم الثقافة المعاصرة وخاصة الخلق والابداع دون الاقتصار على استيراد ثمرة الحضارة الغربية ٠

ذلك ان مجرد التهافت على ما يخترعه الغير لا يخلو من مخاطر أهمها انه يجعل منا نحن ابناء العالم الثالث مجرد زبائن ويجعل من بلداننا سوقا رابحة يستغلها اقوياء اليوم ٠

ولهذا يجب ان تكون لنا سياسة قومية فى البحث العلمى تعتمد فيما تعتمد على المبادىء التالية :

١ ـ تكوين أكبر عدد ممكن من الاخصائيين فى كل انواع العلوم الصحيحة والتقنيات ٠

2 – تشجيع البحث العلمى وترغيب الادمغة العربية خاصة والعالم الثالث عامة على الاستقرار والعمل فى اوطانها وذلك لن يكون فقط بالترغيب المادى بل لا بد من ايجاد مناخ نفسانى واجتماعى وعلمى مناسب ومن نكد الدهر ان نلاحظ ان بلدان العالم الثالث تتقاوى على نفسها لتكوين الادمغة وتبـذل من اجل ذلك اموالا سخية ولكن نسبة كبيرة من هؤلاء يفضلون الاستقـرار فى البلدان الغنية عندما ينهون تكونهم ويصبحون من المبرزين ٠ فهل تعلم مثـلا انه يوجد اليوم 140 ألف طبيب كونتهم بعد سنوات طويلة وبتضحيات جسيمة بلدان العالم الثالث وهم يعملون اليوم فى البلاد الغنية ومنهم سبعـون ألف طبيب فى الولايات المتحدة وحدها وهى ارقام تجدونها فى تقاريـر المنظمـة الدولية للصحة ٠

3 – ان التكوين العلمى والتشجيع المادى والمعنوى ضروريان ولكنهما غير كافيين لانه لا بـد الى جانب ذلك من غـرس عقيدة قومية فى نفوس هـؤلاء الاساتذة والخبراء والاخصائيين العرب ، وهى عقيدة تعتمد على الوطنية والثقة بالنفس ، وتغرس فيهم العزة والكرامة وارادة فرض الذات والطموح الى المجد العلمى وهذا أيضا ترجع مسؤوليته الى الانظمة التربوية فى المقام الاول » ٠

ملامح الادب التونسى المعاصر

بتعدد اهتمامات الاستاذ مزالى تعددت الاسئلة وكان لا بد ان يكون للادب التـونسى نصيب من الحـوار ٠٠ خاصة فيما يتعلق بالادب التـونسى المعاصر من خلال مواكبته له كأديب من جانب ٠٠ وكصاحب مجلة «الفكر» المعروفة من جانب آخر ٠٠ سألناه عن سمـات وملامح الادب المعاصر فى تونس من خلال المؤثـرات والظـواهر الادبية العالمية ٠٠ والعلاقة القائمة بين الاديب التونسى المعاصر ٠٠ وتراث أمته ٠٠ بحماس أجاب :

« ان الادب التونسى متأثر بخصائص الثقافة التونسية ٠٠ هذه الثقافة التى لا تزال تعانى من مخلفات الاستعمار الفرنسى الذى فرض نفسه على هذه البلاد طيلة ثلاثة ارباع قرن بالحديد والنار وسعى الى مسخ هذه الامة والقضـاء على مقوماتها العربية الاسلامية وحرص على ابقـاء الشعب فى الاميـة وشجـع على

تكوين انماط بشرية مختلف بعضها عن بعض . ولا تـزال الثقـافة التونسية تجاهد لتثبت ذاتها على أساس الوحدة والاصالة والمعاصرة والادب التـونسى الى جانب ما يزال يعانيه من بصمات هذا الواقع المـوروث فانـه غنـى بشتى الاتجاهات وأذكر منها بالخصوص :

ـ الاتجاه النضالى الملتزم الذى برز بالخصوص فى ايام الكفـاح وتمثـل فى المقام الاول فى الشعر الذى استظهر الهمم وذكر الشعب بامجاده وحرك سواكنه وألهب حماسه ، وحبب اليه النضال والتضحية والاستشهاد ، ولعل أبرز ممثل لهذا الاتجاه الوطنى الشاعر أبو القاسم الشابى الذى تعرفه الجماهير العربية وغيره كثيرون .

وهذا الاتجاه الملتزم تطور واصبح ينـاضل من اجـل مقومـات الاستقـلال والازدهار والكرامة وذلك بربح معركة القضاء على التخلـف واثبـات الكيـان القومى .. الخ .

وهناك اتجاه واقعى تمثل بالخصوص فى القصة والمسرحية وفى الشعر كذلك وبرز فى وصف الواقع التونسى والكشف عن سلبياته ومظاهر التخلف فيه ونقد بعض نماذج بشرية سعيا الى تغييره ودفعه الى مركبة التاريخ .

وهناك اتجاهات اخرى ربما بالغت اذا قلت انها مستوردة وهى على كل حال متأثرة ببعض المدارس الغـربية مثـل السريـالية والهيكليـة او البنيـوية او الوجودية .

هذا منجهة..ومنجهة أخرى هناك أجيال من الادباء فيتونس اليوم ويوجد بالخصوص تيار تجديدى كبير تتزعمه نخبة من الشبان الطموحة الذين يذهبون أحيانا فيالتجديد مذاهب بعيدة ولكنها موفقة وطريفة أحيانا وأعتبرها شخصيا ذات وظيفة حيوية فى المجتمع لانها تحفز ، وتخز ، وتقاوم الرقابة والنـوم ـ وربما افتقر الادب التونسى اليوم الى حركة نقدية قوية تقيمه وتقومه وتوجه الادباء حتى يتجاوزوا أنفسهم ، ويبلغوا درجة الابداع .

ومهما يكن من الامر فان الحركة الادبية عرفت فى السنوات الاخيرة نهضـة كبيرة تمثلت فى تنشيط حركة النشر والتوزيع وان كان مستوى هذه الحركة لا يرضينا كل الرضى وخاصة فيما يتعلق بتعريف انتاجنا فى مختلف بـلاد المشرق العربى ، وهو أمر حيوى عندنا لان الوحدة الثقافية المنشودة لن تتحقق

الا اذا وجد الكتاب العربى فى كل الاقطار العربية لا فقط فى المدارس والمكتبات المختصة بل كذلك وبالخصوص فى كل نقط البيع العمومية والا اذا كتبت عنه وعرفت به كل الجرائد والمجلات فى كافة انحاء الوطن العربى ٠

أما علاقة الاديب التونسى المعاصر بالتراث فهى علاقة ايجابية فى اكثر الاحيان بمعنى ان الاديب التونسى يستوحى هذا التراث **ولا يكتفى بتنفيذه** ٠ انه يقتبس منه القيم الخالدة ويستمد منه العبر ، **لينطلق الى عقل عصره** ومواجهة تحدياته ٠

ولا أعرف أديبا تونسيا تنكر لتراثه أو ازور عنه ٠ وانما التجاوز الحق وفاء للتراث بحيث نحقق الاستمرارية والتطور فى آن واحد » ٠

امكانات العقل العربى

الحديث عن العقل العربى ٠ ٠وامكاناته ٠٠ وقدراته بشكل عام على العطاء فى هذا العصر الحديث طويل ٠٠ لكننا حاولنا ان نحصره فى جانب واحد هو قدرته على ايجاد اشكال أدبية جديدة مؤثرة فى الادب العالمى المعاصر ٠

وتناول الاستاذ مزالى هذا الجانب بالحديث قائلا :

« يمكن للعقل العربى المعاصر ايجاد اشكال ادبية جديدة مؤثرة اذا ما آمن بنفسه واقلع عن التقليد والاستهلاك ٠

كما سبق ان اشرت الى ذلك ٠ وهذا معناه مرة أخرى ان الادب ٠٠ الثقافة ٠٠ التربية ٠٠ العلم ٠٠ تحتاج كلها الى عقيدة ، الى موقف فى الحياة ٠٠ الى ايمان بالذات الفردية والجماعية ٠٠ الى ثقة فى النفس ٠٠ الى صدق فى البحث والتجربة والممارسة ٠

والعقل العربى اذ يوفق اليوم الى التجديد والابداع فانما يحيى بذلك ماضيا بعيدا وعصورا ذهبية وهاجة اذ سبق ان تألق نجم العقل او الفكر العربى تألقا كبيرا ٠

ومن حقنا ان نتفاءل وان نعمل بالخصوص حتى نكون في مستوى الاجداد ، ونحلق كما حلقوا ، ونبدع كما ابدعوا وليس ذلك على همة شبابنا الطالع بعزيز » .

أدب الطفـــــل

ومع ان الطفولة ومشاكلها هي بداية الاشياء عادة الا انها جاءت في الاخير ونحن نودع الاستاذ مزالي بعد هذا الحوار الطويل فسألناه عن أسباب ظاهرة افتقار المكتبة العربية الى ادب الاطفال .. وخاصة في هذه المرحلة الحساسة بالنسبة للامة العربية والاسلامية وهي تواجه كثيرا من التحديات العالمية .. كما سألناه عن كيفية ايجاد حركة تاليفه للطفل العربي تتبنى قيما .. وطموحات .. وتطلعات حضارة الامة العربية والاسلامية ؟

وباختصار أجاب :

● « نعم يلاحظ بكل أسف افتقار المكتبة العربية لادب الطفل رغم كتب كامل كيلاني وعطية الابراشي وبعض الادباء الآخرين مثل محمد العروسي المطوى واحمد مختار الوزير والطيب التريكي واحمد القديدى وغيرهم في تونس .

ومن اسباب هذا القحط الذى يلاحظ في أدب الاطفال ما يأتي :

1 ـ ان عددا كبيرا من الادباء العرب لا يولون هذا الادب قيمة كبيرة لاننا ورثنا جميعا اعجابا بالشعر طغى على غيره من فنون الادب ونشأت اجيال كثيرة من الادباء وهي تطمح الى ان يسطع نجمها في عالم الشعر دون سواه .

2 ـ ربما لم نعتن بالطفل في حد ذاته اعتناء كافيا لان مجتمعنا مجتمع رجال يتركون الاطفال تحت رعاية الامهات ، معنى هذا انّ العناية بأمور الطفل تقتضى تطورا في هياكلناالاجتماعية ذاتها .

ولا اخال المسؤولين في العالم العربي اليوم الا مدركين لاهمية تربية الطفل وتكوين ذوقه وصقل مواهبه .. وتنمية خياله لان تقدم العالم العربي رهين بمستوى شبابه والطفولة هي أخطر مرحلة فيتكوين الشباب وأبعدها أثرا » .

يوم العلم بتونس 1977

بردة الأصالة (*)

شعر : محمد الهاشمي زين العابدين

أفضى إليـك بمـا ألقى ومـا أجـد … أنت الطروب ٠ وإنى بالهوى الغرد٠!
ان الكـريم ، سخيـات شمـائله ٠ … يهوى الحوار ٠ ولا يغرى به السـرد
ما أضيق النفس بالمعنى الذى حملت … إذ تبتغى الشرح والامكان مفتقـد !
كأن ما شفها ٠ وجـدا بصاحبهـا ٠ … شوق الولوع الذى فى الجهر يقتصد
صد إليه ٠ وأنصاف الظنون بـه ! … وخاطب الود ! والارجاف!٠والكمد!٠
فـان دعـوت الى مـا هـز مسمعـه … ما بين مد وزجـر ينجـم الرشـد ٠
لأننـا ، ورمـى المجـد غـايتنـا ، … من سالف العهد فى الاهداف نتحد ٠

* * *

لا تنتشى النفس من شدو بأيكتهـا … كمـا آنتشيت للحـن منـك يطـرد
لحـن الابـانة عن أغـلى مطامحنـا ٠ … لا اللحن منه الكسائى عينه سهد ٠!!
لحـن يهـز كيـانـى مثلمـا فعلـت … بالصب ـ عفو اللقا ـ أيـامه الجـدد
هى الأصـالـة إيقـاظـا وتـوعيـة … تجرى بهـا ألسـن الدنيـا وتنعقـد
يضفى عليك جمال الصـدق خاطبهـا … ونبـل مـا يرتثيـه الملهم النجـد
يـروى ٠ وينبـوعه ثـر ٠ ومنهلـه … عـذب ٠ وليس بـه رغـو ولا زبـد
ويستقى من صفـاء الفكـر أخلصـه … لمـا يـدين بـه فى العـز معتقـد
وإنـه للهـدى أصـل ومنطلـق … وغـاية هـان فيهـا البـذل والجهـد
ليس الأصـالة أن تبقى أخـا عـوز … والغير يحتكر الدنيا ويـزدرد ٠٠!!
أو أن تشيـىء شيئـا أو تجمـده … وتطمئـن اليـه ثـم تعتبـد ٠!!

(*) ألقى الاستاذ الهاشمى زين العابدين هذا القصيد فى يـوم العلـم بولاية تونس (جوان 1977) اليوم الذى أشرف عليه الاستاذ محمد مزالى وزير التربية القومية ٠

إن الأصالة إصرار الغيور وإقـ ـدام الجسور الذى يحدوه مستند
على آشتراع مصير صاعد أبدا الى الأعالى كنجم شب يتقد ،
من حاضر أسه ماض ، وفارعه مستقبل ، أنت فيه السيد الأحد ٠!
تاقت الى العلم جاست فى سرائره آباؤك الشم وآستجلوه وآعتهدوا
ويسروه بانشاء وترجمة وقدموا فيه ما يروى ويعتمد
فركزوا سنن العرفان فى أمم بما توجبه المنهاج والسند
أليس أول إشراق لجامعة بعالم الناس بيت الحكمة الوحد ؟!
واليوم بعد سهاد طال طائله قام الغزالى، ابن سينا،قام من هجدوا
قد آشرأب الخوارزمى هبة من الى نداء ابن رشد شاقه السهد
وجاء من بعده الكرجى منبعثا وغيرهم فى الورى أعلامنا النجد
أئمة شرف التاريخ ذكرهم فى كل فن بما لم يحصه عدد
يستيقظون لداع صات فى حفد : إن الكرامة لا تهدى ولا ترد
وإنما يسترد العز أعرقه من بعد دولته عن آله ، الحفد

* * *

تحاورت بلغى الفصحى فلاسفة فى أيكنا والرياضيات تتلد
يا أحمد العود إذ ترنوله همم من فجر أيامنا الغر التى تطد
وضعا أردنا عتيدا من أصالتنا الاسلام والضاد والخضرا له عمد
إن صار بشلار بالكندى ذا صلة فذاك فتح ٠ وإنسانية حتد ٠٠٠!
والعلم يصنعه التاريخ أحدثه وليس للعلم أوطان ولا بلد
تطور مستمر لا يعايشه على الحقيقة الا الكشف والأبد ٠٠٠
وإننا أمة جدت إذ آنبعثت تفاعل الدهر ٠ لا ينتابها الأود
يا وارث العلم لا تقطع أواصره فان قطعكها الاملاق والنكد !
واطرب لمجدك إذ عادت سلائبه وأنعش الروح منها الطارف التلد
وآطرق الى الحكمة الوثقى مواردها بمنهل من معين الرأى يقتلد
فأن تكون بفصل حولك آجتمعت رواد معرفة فى حذقها آجتهدوا
أو أن تقوم على ركح لتنشرها فى بهو كلية والجمع محتشد
أى المنابر تعلوها فأنت بها الـ ـمنار والمشعل الوهاج إذ يقد
يرى بنورك هذا الجيل مسلكه يستقطب الهدى منك القرب والبعد
تفيض كالنهر إغداقا اذا آنسجمت فيه السواقى٠ ويأتى الخصب والرغد
وإن تغض فيه أو تنضب جداوله أو تنحرف عنه فهو النازح الثمد

* * *

مستقبلية هـذا الشعـب مشـرقة   ما آلتام فيها الغيور البـر والعضـد
ونـازع الخيـر فـى أهليـه دافعـه   عـن كـل شـائبة الأهـواء منجـرد
إلا آلتى سخـر الاخـلاص طاقتهـا   فـى قـدهـنا وحـدة بنيانهـا عتـد
عـلى المـروءة والأكفـاء والمثـل الـ   ـعليا يشاد ويعلو الشاهق الصمـد
والمرء ما المرء ! مـا أدراك مـا نعتت   عـراقـة العـرب تكريمـا لمـن تلـد
إن لـم يحركـه ميـل رافـع أبـدا   فلا يسمون مـرءا مـن بـه عقـد !
تخالف الناس فى سـر الكيـان على   مدى الزمان ٠ أعلم شـع أم عـدد ؟
أبالسـلاح أم الأخـلاق عـزتهـم   أم بالعلوم ؟ ترى تزكو اليد الجمد!؟
إن الكمـال الـذى تصبـو لـه أمـم   طرائق الـرأى فى إدراكـه قـدد ٠
لكـن مـن سمـك الدنيـا وأجدهـا   خير البرايا علوما ، والنهى الأجـد ٠
فصـن مواثيـق شعـب ملهـم ذكـر   يسمـو الى القمـة الشمـا ويقتعـد
وآضرب بأرضك ضرب المؤمنين بهـا   فطالع الحظ فى إقبـالك الأسـد ٠!
هذا الأنـام الـذى وافـاك مغتبطا   يحنوطـه بجـلال الهيبـة الـزرد
عـز المصيـر تـراءى فـى مخايلـه   على جبين الألى أوفـوا بمـا عهـدوا
آستأنس لسـالم جمعيـه إذ التقيـا   تجـدهمـا أمـة بالحـزم تعتضـد
قد خددتهـا الليـالى ٠ وهى ساهرة   تطوع الفكر ـ ما آستعصى ـ فتنتضد
فـى أكـرم التـوق للعرفـان همتـه   لا فى الذى يعتريه الزيـغ والشـرد
تدلى بواضح رأى ٠٠٠ تنتقى فكـرا   أبكـارهـا بمعـانى النبـل تنفـرد
فتستبيك المعـانى المحييـات من الـ   ـآمال فى المهج الحرى ٠ بما تعـد ٠
حتى تغل القطـوف الدانيـات شهـ   ـيـات المـذاق على الأفنـان ترتئـد
يا ربة الصـون والاخـلاص رائدهـا   طـوبى لمـا تجتليـه الأنـس الخـرد
حيت رياحينهـا الأرواح فآنشرحت   كرافل فى بـرود الفضـل يتئـد ٠
انعشت فيـك وفى الانشـاد غـانية   كاد المعنى بها ـ من حـرصه ـ يئـد
كأنهـا مـن إنـاث الجـاهلى غـدا   خوف الشنار يواريهـا ويلتحـد ٠!
يا لو درى أنهـا إيمـان ما آختلجت   به الجوارح والأعطـاف والكبـد ٠!!
إنـا وأنتـن ٠ والجـدى يـرفعنـا   الى الثـريـا ضميـر حـاضر ويـد
على الـذى يكسب الخضـراء منعتها   ولا يـرغبهـا عـن جـوهـر بـنـرد
يهون ما قـدمت نفس اذا آعتقـدت   أن التفاني فى خيـر الـورى سـدد
فكيف والبـذل بـذل فى نواشئنـا   يا للهدى ! وحسـام الأمـة الـولد !
هذا مصيرك يا خضراء ٠ أنـت لـه   وهؤلاء الرؤوم الاصـل والمـدد ٠٠٠
فى ثالث الشوط ـ والاقلاع يكلـؤه   حادى الجهادين ـ كان المرتقى الصعد

تحفة ... وتصعد لطاحونة الإغماء!

شعر : الصادق شرف
(أبو وجدان)

انها تحفة تدخل وجودى بلا جواز فى احدى ليالى التيه .. من احدى قاعات الشاى بوهران الجميلة .. اختلست منى اوراق الاشفاق لانها كانت حقا تحفة هاربة من مخالب وحش .. موحش .. متوحش ...

* * *

آثار الجرح بكاء فوق الخدين ..
أثر الحرق الوحشى تجمد أوتارا فى ظهر الكفين ..
أثر الآثار على الآثار ..
نحت تشكيلى بالنار !.
من هذا النحات المتفنن يا أختاه ؟
بالسيجارة يحفر فوق يديك خريطة مأساة ..
سحبت منك امرأة فى شكل ولون وطعم فتاة ..
ذبحت فى نزوة حب كل طهاره ..
وأفاقت والليل المشبوه يكفنها بنجيع بكاره ..
بدها تتحسس جرحا فى جثمان البرد ينز حراره ..
وأطلت من فجوات الليل على جسد قد أنهى أسفاره ..
الرتل تكدس عند الخط الخلفى على انقاض عماره ..
يتلوى .. والجثة ملقاة .. ما اتفه قعر سجاره !
الدهر بها .. وبها ألقى عبر الاقدام ..
داستها فى شره اغماءات الايام ..
تفتلها الغربة فوق رصيف الآلام .

دقت بالظفر المتعب بابا مشنوقا فى بهو الأحلام ٠
دقت بابا ٠٠ لا بوابا ٠٠
سمعت من خلف الارهاق استجوابا ٠٠ ليس جوابا ٠٠
الباب يفاجئها بفم حلو المضغ ٠٠ الشفتين ٠٠ أمير ملوك ٠٠
يمتد لسانه ، فى جسد امرأة منهوك الساعد منهوك ٠٠
ولجت باب الزمن الموقوف وراء تشتتها وعلى عينيها منظار شكوك ٠٠
الشك يموء : أنا يا أخت اخوك ٠٠
لا تخشى من برد النرجس ٠٠
لا تخشى فى بيتى شيئا ٠٠ لن يعروك الجيب المفلس ٠٠
لا اعديك الضوء الوردى ٠٠ ولا القيك على الشط الاملس ٠٠

* * *

الآن الى بيتى ٠٠؟
هلا آويت ... ؟
فالبرد بمبرد حداد يترصد أطرافك ٠٠
والقطر بمنجل فلاح يتحصد اكتافك ..
وظلام الليل بريشة فنان سيزيف أوصافك ٠٠
والدفء ببيتى ينتظر السلطان وموكبك الاخضر ٠٠
والغصن اذا ما اورق كان ربيعا ٠٠ يا صهد الصيف احبك أكثر ٠٠
القى للشارع ظهرك يا تعب الليل الممطر ٠٠
مرى من مدخل اشواقى
صوب الشريان الاحمر فى أعماقى ٠٠
فلماذا واقفة فى أعتابى ٠٠ تبقين ٠٠؟
هذا الكرسى ٠٠ وهب ليلقانى ٠٠ ورآك فبدلنى فى لمحة عين ٠٠
يا تحفة فنان ٠٠ يا واقفة ٠٠ يا جالسة .. يا بين .. وبين .
هلا أيقظت اللحظة فى امعائك وحش الشهوه ٠٠؟
كى يأكل ما يتشهى ٠٠ كى يشرب فنجان القهوه ٠٠
القهوة أنواع ٠٠ أنواع ٠.
فاختارى ما يحلو لشفاه الورد ٠٠ فامر الوردة عند كرام الناس مطاع ٠٠
قالت : اختارك انت لكى تختار الى ٠٠ ألا تختار ؟
فاختار اليها القهوة .. فنجانا من نار ٠٠!
فنجانا ٠٠ لكنه من غير قرار .!
من عاصفة لم تعرف قبل البرق ٠٠ وبعد الرعد .. لها استقرار ..

قد ذوب فى فنجان القهوة قبة سكر ٠.
كى تبحر وفق البحر وعكس المبحر ٠٠
كى تبحر فى فنجان أسود ٠٠ أصفر .. أحمر ٠.
ماذا يا آنستى فى هذا الكأس .!؟
لا شىء سوى قطرات من غيث تتنزل من روح البسباس ٠٠
من وحى ملائكة تستيقظ فيه براعم كل الاحساس ٠٠
ردى باب الشفتين على الانفاس ..
فالباب يكون كما قد شاء العساس ٠
كونى يا ايتها الاشياء وراء الباب الطاحونة والافلاس ٠
ما دام الباب له مفتاح آخر ينقف شيطانا من أحذية الحراس !
كونى يا آنستى كالموقد فى بيتى فالليلة شتويه ٠٠
وانا قدامك مائدة مصلية ٠٠

* * *

أكلت ٠٠ شربت .. ضحكت .. رقصت والرقص حياة
وحياة الرقص الوثنى بداية مأساة ٠.
غرقت فى تيار اللحن الغربى جناحا يسبح فى العتمات ٠٠
لم تفتح أذنا ٠٠ بل فتحت كل الآذان الى كل النغمات ٠٠
وأصاخت للهمس المعسول ٠٠ أمال النحل الوردة للهمسات ..
يا أجمل من أن يوصف ريعانك بالكلمات ٠٠
يا أجمل من كل الفتيات ٠٠
قلب من غير غرام ٠٠
ظلم ، والظلم حرام ٠
سريان الدفء أذاب الشمعة ٠٠ لم يفتأ يبريها لا ينفك ٠
وتراءت صومعة أخرى تندك ٠٠
وتناثرت الاجناس ٠٠ الانفاس .. الاكياس هنا وهناك ..
فوق الاعتاب بغير حراك ٠.
وتطل الشمس رمادية الامواج تطل من الشرفه ٠٠
وتظل تحرك من فى الغرفه ٠٠
لكن فى الغرفة جنس لم يتحرك للنور ٠٠
عشاق المتعة أموات من غير قبور ٠

وهران 1973/3/20

أضواء الفكر

◆ **مؤتمر الادباء العرب الحادى عشر :** أنهى أشغاله صبيحة يوم الخميس 29 سبتمبر 1977 بطرابلس / ليبيا بعد أن عاش أيامه مليئة بالنشاط ٠ وأسفر عن توصيات أهمها العمل على :

1) تحرير الارض العربية المحتة ٠

2) استرجاع حق الشعب الفلسطينى فى وطنه السليب ٠

3) مواصلة النضال الشامل من أجل البناء الحضارى للامة العربية حرة موحدة ٠

4) مساندة كل الثورات التحريرية الشعبية فى العالم ٠

5) الوقوف الى جانب دعاة السلام العالمى بالكلمة الشريفة والحرف المناضل٠

◆ **أمسية شعرية :** احتضنت قاعة المحاضرات بدار الثقافة « ابن خلدون » يوم الثلاثاء 4/10/77 أمسية شعرية أقامها تحت اشراف « نادى الشعر » الشاعر المصرى أحمد عبد المعطى حجازى وقد حضرها كل من الشاعر اليمنى : **عبد الرحمان فخرى ، والاديب المعروف سهيل ادريس ٠ هذا وقد حضر نزر** قليل من الادباء والشعراء التونسيين ولعل ذلك يعزى الى دور الاعلام الذى وقع فى خلط بين يومين إذ أعلنت احدى الجرائد باللغة العربية عن موعد الأمسية ليوم الثلاثاء 4 ــ 10 ــ 77 بينما اعلنت عنه أخرى بالفرنسية ليوم الاربعاء 5 ــ 10 ــ 77 ولئن حددت كل من الصحيفتين يوم الامسية فقد اهملتا معا تحديد ساعتها ٠

◆ « **الحياة الجهوية** » مجلة تعنى بالاعلام الجهوى ٠ تصدر عن وزارة الداخلية مرة كل شهرين ٠٠ وها هو العدد الثالث يصدر حافلا بالمواضيع الاجتماعية والدراسات والاخبار المحلية المتنوعة ٠

◆ **مع حلول الموسم الثقافى :** يعود « نادى الشعر » بدار الثقافة ابن خلدون الى نشاطاته بعد رحلة الصيف يعود متطلعا الى غد فنى أفضل واضعا لنفسه برنامج عمل لممارساته الشعرية فى بحر السنة هذه 77 ــ 78 أملنا أن يكون واعدا رائدا والاستمرار فى المعاناة نضال ٠

علي بن هادية : الشاعر المربي المعلم صاحب ديوان « من وحـي الخـريف » الذى وافاه الاجل المحتوم هذا الخريف وهو يتلو قصيدا يرثى فيه فقيدا عزيزا عليه ٠٠ لقد عاش صمتا من وحى الخريف ، وفارق الحيـاة والخـريف يكفنها بوحشته حزنا عليه ٠

◆ **اتحاد الكتاب التونسيين ينظم الملتقى الثانى لابن رشيق القيروانى حول النقد الادبى :** وذلك فى 25 ـ 26 ـ 27 نوفمبر 77 بالقيروان بعد أن كان نظم الملتقى الاول سنة 75 بنفس المدينة الاغلبية وفى نفس الموضـوع والجلسـات التحضيرية جارية هذه الايام ٠

◆ **محاضرة :** الاستاذ البشير بن سلامة يحاضر على منبر المدرسة الحزبية لتكوين الاطارات ٠ ويفتتح سنتها الدراسية الجديدة « ببعض العبر من تاريخنا وأهم الاسباب التى حالت دون تكوين دولة وطنية » وهذا هو عنوان المحاضرة القيمـة ٠

◆ **مجلة الحياة الثقافية :** التى تصدر عن وزارة الشؤون الثقافية تعـود الى الظهور من جديد بعد احتجاب نمى فينا الشوق لها ٠ وها هى اليوم بين أيدينا فى عددها الاول من سلسلتها الجديدة الزاخر بالمواضيع والدراسات عن القصة

◆ « **ضحكات عيون باكية** » ؟ : هذا عنوان المجموعة الشعـرية الاولى التى صدرت عن الدار التونسية للنشر للشاعرة الشابة فاطمة الدريدى ، أملنا ان تكون هذه الاضافة الهامة لرصيد الادب النسائى التونسى متواصلة العطاء ، متصلة الاسباب بالعمل الفنى الحاضر الخلق ٠٠ الدائم الابداع ٠

◆ **صدر أخيرا عن الدار العربية للكتاب** ، للاديـب المصـرى : رضـوان ابراهيم « التعريف بالادب التونسى » هذا عنوان الكتاب الذى قدم فيه صاحبه تعريفا جادا للادب التونسى محاولا رفع يد الغبن الـذى سلط على أدبنـا فى الشرق نتيجة العزلة التى سببت انشطارا ثقافيا فى وطننا العربى ٠

وقد اعتمد المؤلف فى دراسة للادب التونسى على ما كتبـه البـاحثون عن أدبنا وأدبائنا فى روسيا بجانب ما أمكن له الاطلاع عليه من منشورات أدبيـة شعرا ونثرا كما اعتمد فى بحثه هذا على مجموعات هـامة من اعـداد مجلـة « الفكـر » التى اعتبرها المرجع الاصلى والاصيل للادب التونسى المعـاصر ٠

وبذلك يكون رضوان ابراهيم قد أنجز عملا جليلا يخدم الادب ويعرف اخواننا فى الشرق بالحركة الادبية النشيطة التى تعمل جاهدة على الخروج من العزلة والقضاء على أسباب الانشطار الثقافى ومسح مخلفاته عن ساحة وطننا العربى٠